حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة الخامسة عشرة / (يوليو - أغسطس) ٢٠٢٠

79

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary |July - August 2020

بشارات

بشاراتُ أهل البصائر عيدْ
وتُنبئ عن فجر يوم سعيدْ
ستخضرُّ فيه قلوب الصحاري
ويأتي الزمان بثوب جديدْ
يحلّ الوئامُ ويشدو السلامُ
ونهتف يا حُبُّ هل من مزيدْ؟

***

٢ أعماق الذات الإنسانية (٢)
فتح الله كولن

٤٢ كورونا من الأنا إلى نحن
حمزة بومليك

٦١ حراء تحتفي بـ"فريد الأنصاري"
عبد السلام كمال أبو حسن

في أعماق القلب والعقل

لقد اختزلت العقلية المادية الإنسان، صاحب العبقرية الفذة والأفق الممتد إلى اللامحدود، في أبعاده المادية وغرائزه الحيوانية، ونزعاته الاجتماعية، وأغفلت حقيقة جوهره التي تقتفي أثر الروح والمعنى، حتى أدت إلى شقاء بؤساء هذا الزمان الذين لا ينجون من ملمة حتى يتردوا في أخرى، ومن ثم يواصل فتح الله كولن تأكيده في مقاله الرئيس بعنوان:"أعماق الذات الإنسانية (٢)" على ضرورة أن تعي الإنسانية قيمة الذات الإنسانية وتنفذ إلى أعماقها، وتتخلى عن تعظيم المنفعة وتصدير إشباع الجوانب الغرائزية على قائمة الأولويات، وإلا فمن يدري كم من مآس مروعة يمكن أن تقع، وكم من سيول من الدموع والدماء يمكن أن تتفجر.

أما خالد راتب فيبين في مقال "العبادة الاجتماعية" أن الشريعة الإسلامية قدمت نموذجًا وازنًا بين العبادة الفردية والعبادات الاجتماعية بغية تحقيق مقاصد اجتماعية متعددة تسهم في إعمار الأرض وتحقيق التوازن بين حاجات الفرد ومتطلبات المجتمع.

ولا يزال المخ البشري لغزًا محيرًا يبحث عن تفسير، حيث يحاول العلماء كل يوم حل جزء من هذا اللغز والوصول إلى كامل أسراره، وهو ما يعرض بعضًا منه الخبير في باب العلوم محمد السقا عيد في مقال ماتع. أما إدريس الكنبوري فقد أوضح في مقاله أن الإسلام قد خرق أعراف الديانات والعقائد التي ترى أن التفكير فيها يشجع على العصيان والتمرد، ويمس بهيبة المؤسسة الدينية، حيث كان أول شيء حض عليه القرآن الكريم هو دعوة الفرد إلى التفكير والتفكر بدل التسليم الأعمى، كما دعا القرآن الجماعة أيضًا إلى عقد مناقشات بين أفرادها بشكل جماعي، وتبادل الرأي والتحليل للوصول إلى نتائج بناء على عمل الفريق.

كما تتابعون في هذا العدد أيضًا عددًا من المقالات التي ترصد جائحة كورونا من نواحي متعددة فحمزة بومليك يحدثنا عن الآثار الإيجابية التي أسهمت في تعاضد المجتمع ونزوعه من الفردية إلى التضامن المجتمعي في مقاله "كورونا من الأنا إلى نحن"، وصهباء بندق تتحدث عن لمس الوجه في أزمة كورونا وطرق تفادي ذلك، وعائشة المشرفي تتحدث عن دور المجتمع المدني في مواجهة هذه الجائحة. وبمناسبة موسم الحج تتابع أميرة الشناوي كيوان أصداء هذه الشعيرة في عيون الشعراء ووجدانهم، وكيف نقلوا لنا هذه الأصداء في ثوب إبداعي قشيب، هذا إلى جانب مقالات أخرى فكرية وحضارية وتربوية وأدبية. وأخيرًا يستعرض عبد السلام كمال أبو حسن أحد أنشطة حراء الثقافية، حيث احتفت المجلة بذكرى وفاة العلامة المغربي المرحوم فريد الأنصاري الحادية عشرة من خلال عقد ندوة دولية بعنوان "فريد الأنصاري مفكرًا وأديبًا"، بمشاركة مجموعة من النخبة والمفكرين والباحثين من مختلف دول العالم، الذين تناولوا المنجز الفكري والأدبي والإصلاحي للمرحوم العلامة فريد الأنصاري، وقد جاءت هذه الندوة من حراء عرفانًا منها بمسيرة الراحل الفكرية وتقديرًا لإسهاماته الرائعة على صفحات المجلة.. نرجو لكم متابعة ممتعة لأبواب المجلة ومقالاتها، والله المستعان. ■

المحتويات

أعماق الذات الإنسانية (٢) / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
العبادة الاجتماعية / د. خالد راتب (قضايا فكرية)	٥
المخ البشري لغز يبحث عن تفسير / د. محمد السقا عيد (علوم)	٨
التفكر الفردي والتفكر الجماعي / د. إدريس الكنبوري (قضايا فكرية)	١٢
كيف نعلِّم أطفالنا القراءة؟ / الزهراء عبد الحميد محمد (تربية)	١٥
التآزر الدلالي بين سور القرآن.. سورة الصف نموذجًا / صابر عبد الفتاح المشرفي (قضايا فكرية)	١٩
لمس الوجه في أزمنة كورونا / د. صهباء بندق (علوم)	٢٣
النعمة والمنعِم / د. محمد باباعمي (قضايا فكرية)	٢٧
في انتظار الحياة / العربي السيد عمران (شعر)	٣١
الامتحانات واللطف الإلهي / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
خواطر حضارية / د. ناصر أحمد سنه (قضايا فكرية)	٣٤
أطلانطس الرمال المفقودة / أ.د. بسمة سيف (تاريخ وحضارة)	٣٨
كورونا من الأنا إلى نحن / حمزة بومليك (ثقافة وفن)	٤٢
الاضطرابات السلوكية لدى الطفل / د. نفيسة الزكي (تربية)	٤٦
دور المجتمع المدني في مواجهة كورونا / عائشة صابر المشرفي (ثقافة وفن)	٥٠
ضرورة الوعي بالواقع / عبد الحميد محمد عبد الحميد (قضايا فكرية)	٥٣
الحج في عيون الشعراء / أميرة الشناوي كيوان (أدب)	٥٧
حراء تحتفي بـ"فريد الأنصاري" في ذكرى وفاته / عبد السلام كمال أبو حسن (أنشطة ثقافية)	٦١

أعماق الذات الإنسانية (٢)

إن العقلية التي اختزلت الإنسان في جسده، واقتصرت في تفسيرها له على أبعاده البدنية، ذهبت إلى أن جميع مظاهر النموّ والتكامل التي حدثت منذ أن بُعثت مادة الحياة في الكائنات الحية إنما هي "تطورات بيولوجية" بحتة، وهامت تلك العقلية في وديان نظريات التحولات الوراثية المختلفة هابطة بالإنسان إلى مستوى الحيوان، منقبة عنه بين أنواع الحيوانات، محولة علم الأنثروبولوجيا إلى إصطبل أو حظيرة للدواب.

من هذا المنطلق، فلن تكون لهذا الإنسان -الذي صنف نفسه حيوانًا- غاية في الحياة سوى المنفعة،

إن الإنسان، ذلك الكائن المكرّم الذي خُلق كل شيء لأجله، عندما يعجز عن تعريف ذاته، ويخطئ في تفسير جوهره، فإن مصيره المحتوم هو أن يقع أسيرًا في قبضة المادة والأشياء كما هو الحال اليوم.

ولن يعير للقيم بالاً إلا إذا حققت له المتعة والمرح والمصالح الذاتية، أو بعبارة أخرى لن يسعى إلا خلف السعادة الحيوانية. ومن ثم فإن أي نشاط يحقق هذه المنفعة، وأي تكنولوجيا توفر تلك المتعة، وأي مال يجلب له نشوة جسدية سوف يتصدر قائمة أولوياته، ويتقدم على كل معيار، ويتفوق على كل قيمة بسرعة مذهلة. في نظام قيمي كهذا، بل -بعبارة أصح- في فوضى قيمية كهذه محال أن ينشأ رجال فكر رفيعو المستوى، أو أرباب علم عالو الهمة، أو أصحاب فن مشحوذو العزيمة؛ وإذا ما وُجدوا فهم ما بين متملق لبعض الأفراد أو متسول لبعض المؤسسات أو طفيلي على أبواب الدوائر الحكومية. أعتقد أن هذه هي الصورة التي نشهدها على امتداد تاريخنا القريب.

إن الحضارة المادية هي مصدر كافة المآسي والأزمات التي يعاني إنساننا مرارتها اليوم. وقد صار ذلك من البدهيات التي لا تُنازَع. فهذه الحضارة هي من شيّدت الوقائع العلمية على نظريات مظلمة، وبنت قواعد الفيزياء على أرضية ضبابية، وقوّضت في مجال الفنون التشكيلية والأدب كل ما يمتّ إلى روحنا، وضخّت في كل شيء نوعًا من الهذيان والميوعة، وزلزلت مؤسسات اجتماعية حافظت على كيانها بنيانًا مرصوصًا أكثر من ألف عام، وقلبت مجال التدبير والسياسة إلى مسرح لألوان مرعبة من الكذب والخديعة، وحولت الأسرة إلى خلية سرطانية في جسم المجتمع. إن حجم الخسائر التي تعرضت لها البشرية -بسبب هذه الحضارة التي باتت دوامة من الأزمات المتداخلة- تتجاوز المكاسب التي جاءت بها. أما نحن، فمنذ أن أطلقنا أشرعتنا -كأمة- ميممين وجوهنا

شطرها، لم نستطع -بأي حال من الأحوال- أن نملأ بما منحته لنا فراغَ ما سلبته منا حتى اليوم.

لقد ارتفعت قواعد هذا النظام -المتواري خلف قميص الحضارة- على أرضية مادية بكل ما تعنيه المادة من معنى. إنه، أي هذا النظام، لم يوفر للبشرية سعادة أو سلامًا، بل إنه لم يفتأ يشحذ نوازع الطمع عند البشر، ويغذي غرائز الجشع لديهم، وينادي: "ألا هل من مزيد"؟ مزيد من الإمكانات، مزيد من الإنتاج، مزيد من الديون، مزيد من الربح، مزيد من الحياة المترفة، مزيد من المستقبل الزاخر بالمتعة والترف؟ الحقيقة أن الإنسان، ذلك الكائن المكرّم الذي خُلق كل شيء لأجله، عندما يعجز عن تعريف ذاته، ويخطئ في تفسير جوهره، فإن مصيره المحتوم هو أن يقع أسيرًا في قبضة المادة والأشياء كما هو الحال اليوم.

إننا نعيش في عالم يفضّل المنفعة على الصدق والخير والجمال. وأحسب أن هذا هو السبب في شقاء بؤساء هذا الزمان الذين لا يكادون ينجون من مصيبة حتى تلمّ بهم أخرى. أجل، إن العقلية المريضة التي أعطت العلوم الوضعية والتكنولوجيا مكانة فوق ما تستحق، وأضفت عليها قداسة غير قابلة للنقاش، مستثيرةً نزعة التبجح والتعالي لديها؛ حيث تنظر إلى الدين والأخلاق والفضيلة والجمال أن لا طائل من ورائها، وتروج لذلك في كل مكان... هذه العقلية تُعامَل اليوم باعتبارها عبقرية هذا القرن. ومن ثم فإنه -على ما يبدو- لن تهدأ الهزات التي تدك كيان الأمة، ولن يتوقف الدوار الذي يعذبها، إلى أن ننجو من هذه العقلية السقيمة التي قلبت القيم الإنسانية رأسًا على عقب. ليتنا انتبهنا إلى ما تعنيه القيم الإنسانية في وقت مبكر!

إن "الروح" التي نفذت في طبقات التاريخ نفاذ الذهب والفضة في طبقات الأرض، هي البعد الحقيقي لتاريخنا، وهي تؤكد لنا أن لا مكان للمنفعة والمتعة واللهو في منظومتنا القيمية؛ وإن افترضنا لها مكانًا فإنه لا يتعدى خط الصفر إلا شيئًا يسيرًا. وإن هذه لَمزيّة من المزايا التي يمتاز بها الإنسان عن الكائنات الأخرى. أجل، إن كل كائن -عدا الإنسان- مسيَّرٌ صوب تحقيق مصلحته الذاتية إلى جانب إسهامه بدور في التوازن الكوني. أما الإنسان فإنه يقتفي أثر "روح ومعنى"؛ يتجاوز ذاته والكون بل والأكوان كلها. إن الحيوان لا يمتلك شعورًا دينيًّا أو قلقًا أخلاقيًّا أو كفاحًا، من أجل الفضيلة أو حسًّا فنيًّا. إن هذه القصور الزمردية لم تَفتَح أبوابَها على مصاريعها إلا لقلب الإنسان ومشاعره المرهفة. فالإنسان هو الضيف العزيز الأوحد الذي فَتحت له تلك القصورُ العامرة أبوابها. أجل، الإنسان هو الكائن الوحيد الذي خُلق/وُلد توأمًا مع الدين، واكتسى بخمائل الأخلاق الدافئة، وهو من نذر عمره للتخلق بمكارم الفضيلة، وأعرب عن خوالج قلبه ومكنونات روحه بلسان الفن. إن كل صوت ونفَس، ولون وخط، ونقش ورسم يصدر عنه، بدءًا من الأعمال الفنية البسيطة التي صنعها بأدوات بدائية، وصولاً إلى آيات بديعة تجاوزت المحدود إلى اللامحدود بما احتوته من معان سامية وقيم فريدة، إنما هي أطياف خاصة به انبثقت من أعماقه الوجدانية وانسكبت من موشور فطرته البلوري.

إننا اليوم حين نتأمل في شبكة العنكبوت، وعش العندليب، وخلية النحل، وهندسة القندوس، وموهبة الذباب، ورحلة ثعابين البحر الطويلة والمعقدة، تأخذنا الدهشة ويتملكنا الانبهار، مع أن كل كائن منها يتحرك ضمن برنامج خَطَّته يد القدرة الربانية. فما بالنا بالإنسان؛ صاحب العبقرية الفذة والأفق الممتد الذي يخترق المحدود إلى اللامحدود، المتجاوز لذاته بذاته، والمترفع عنها؟ أليس ذلك الكائن هو المثير للدهشة حقًّا، والمستحق للتبجيل والانبهار فعلاً؟

تلكم هي الحقيقة، وإن كان أغلب الناس اليوم عن القيم الإنسانية الحقة التي ترفعهم إلى أعلى القمم، غائبين. وحتى يأتي ذلك اليوم الذي تَفهَمُ فيه العقولُ هذه الحقيقة بجلاء، من يدري كم من مآس مروعة سوف تقع، وكم من سيول من الدموع والدماء سوف تتفجر، بسبب من كبرياء العلم وتبجح التكنولوجيا وسقم عقليتنا الحضارية التي لا تقيم وزنًا لأي قيمة ما عدا المنفعة. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:١٧٣ (يونيو ١٩٩٣)، تحت عنوان "Kendi Derinlikleriyle İnsan -2". الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.

hiragate.com

د. خالد راتب*

العبادة الاجتماعية

إن الإصلاح الفردي ضرورة حتمية للوصول إلى الإصلاح الاجتماعي، ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية لتجمع بين العبادة الفردية والاجتماعية. فهاتان العبادتان يكمل بعضهما بعضًا ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال. وهذا الاندماج أمر ضروري لإقامة مجتمع وسطي متوازن. ولكن للأسف نرى انفصالاً عند بعض المسلمين بين العبادة الفردية والعبادة الاجتماعية؛ حيث نرى مصليًا صائمًا مزكيًا حاجًّا لبيت الله مؤديًا النوافل، غير أنه غائب عن مجتمعه ووطنه مضيع لحقوق

الناس، يشيع شره ويعم فساده فلا يسلم منه أحد، يؤذي أهل بيته وجيرانه وزملاءه، إذا تولى في الأرض أهلك الحرث والنسل. من أجل ذلك وضع الإسلام عقابًا شديدًا لمن فصل بين العبادات الفردية والعبادات الاجتماعية، فقد كان هناك امرأة اعتنت بعبادتها الفردية -صوامة قوامة- لكنها أهملت العبادات الاجتماعية فأذت جيرانها فكان جزاؤها النار كما أخبر بذلك ﷺ في الحديث الشريف. وكان هذا العقاب الشديد على إهمال العبادات الاجتماعية؛ لأن هذه العبادات لو تحققت لاستطعنا إنشاء مجتمع فاضل متماسك قوي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا في الرخاء وفي وقت الشدة والأزمات، بعيدًا عن التناحر والفرقة.. مجتمع تعمه السكينة والطمأنينة والأمن والأمان والرخاء.

من أهم المقاصد الاجتماعية للعبادة

للعبادة في الإسلام مقاصد اجتماعية كثيرة، لا نستطيع في هذا المقال أن نحصرها، ولكن سوف نقف على أهمها، فهي تعد الأصول التي تتفرع منها جل المقاصد الاجتماعية، وهذه المقاصد هي:

١- مقصد التعارف والتعاون: إن الشارع عندما أمر المكلف بالعبادة، لم يأمره لذاتية العبادة ولكن لتحقيق عللها ومقاصدها وأهدافها.. فصلاة الجماعة التي تشبع الجانب الوجداني والفكري للإنسان الهدف الأسمى منها -كذلك- التعارف والتعاون، ليس بين المصطفين في المساجد فقط ولكن بين جميع الناس، وهذا ما أكد عليه الخطاب القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣)، وهذا التعارف هو الذي يجلب التعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢). وهذا التعارف والتعاون نراه في جميع الشعائر التعبدية، في الحج، وفي الزكاة، وفي الصوم، وصلة الأرحام، والبر والقسط.

٢- تحقيق السلم المجتمعي والتعايش الإنساني: من مقاصد العبادات الاجتماعية في الإسلام، تحقيق السلم المجتمعي والتعايش الإنساني؛ ولذلك جاءت دعوة الإسلام صريحة وواضحة في دعوة الناس جميعًا إلى السلم والسلام والتعايش المشترك الذي يحترم الذاتية ويحافظ على الهوية. فأول عمل قام به نبي الإنسانية ﷺ عندما دخل المدينة المنورة، الدعوة إلى السلام: "أفشوا السلام بينكم"، وكانت صحيفة المدينة تعد وثيقة تعايش بين جميع طوائف المجتمع على اختلاف ديانتهم وتوجهاتهم، وهذا يدل على أن الإسلام دين السلم والسلام والتعايش، ودينٌ يفتح آفاقه للجميع.

٣- تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة: من المسالك المهمة لدى الفقيه والمسلم الواعي، النظر إلى المصلحة المعتبرة. فطريق المصالح المعتبرة أوسع طريق في التعامل مع الواقع، خاصة عند الالتباس والتشابك ووقوع الأزمات.. وإن إهمال هذه المصالح وتركها، يؤدي إلى تعطيل شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، يقول ابن عاشور: "طريق المصالح هو أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير أمور الأمة عند نوازلها ونوائبها إذا التبست عليه المسالك، وأنه إن لم يتبع هذا المسلك الواضح والمحجة البيضاء، فقد عطَّل الإسلام عن أن يكون دينًا عامًّا وباقيًا".

هذا بالنسبة لاعتبار المصالح، أما في الموازنة بين المصالح فهذا شأن أكبر وفقه أوسع

جاءت الشريعة الإسلامية لتجمع بين العبادة الفردية والاجتماعية. فهاتان العبادتان يكمل بعضهما بعضًا ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال. وهذا الاندماج أمر ضروري لإقامة مجتمع وسطي متوازن.

وأرحب. ومن الموازنة بين المصالح تقديم المصلحة العامة المتعلقة بالمجموع على المصلحة الخاصة الفردية عند عدم الجمع بينهما. وقد حثنا الإسلام في نصوص متكاثرة على تقديم مصالح الناس على مصالح الأفراد عند التعارض، ومن أكبر الأدلة على ذلك دعوة الإسلام -في أمر مباشر- إلى إعمار الأرض حتى آخر لحظة في الحياة عند قيام الساعة، حيث لم يأمر بعبادة فردية والإنسان مقبل على الآخرة ومدبر عن الدنيا، بل أمر بعبادة جماعية: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تَقوم حتى يَغرسَها، فليَغرِسْها" (رواه الإمام أحمد).

٤- تحقيق العدالة الاجتماعية: العدالة الاجتماعية تعني: "أن كل إنسان يجب أن يأخذ صفة من الحياة بشكل متلائم مع شخصيته الإنسانية، وأن يسود أبناء المجتمع لون واحد من التعامل، وتهيئة الفرص الكاملة للمشاركة في جميع الأصعدة والاستفادة من خيرات البلاد.. وهذه العدالة ليست في خصوص التوزيع العادل للثروة فحسب، بل يشمل المساواة أمام القانون والأمور الحقوقية، ومحاربة التمييز العنصري والطبقية. فالعدالة الاجتماعية هي إعطاء البشر حقوقهم في كل مجالات الحياة، وعدم التمايز بينهم بأي لون من ألوان التمايز، ومعاملتهم على أساس العدل الذي هو أساس العدالة، أي إعطاء كل ذي حق حقه وفق الحاجة والكفاءة والقدرة ". فالعدالة -إذن- في أبسط مفهوم، هي إعطاء كل ذي حق حقه، وفق الحاجة والكفاءة والقدرة. وهذا ما أمر به ﷺ حيث قال: "فأعطِ كل ذي حق حقه" (رواه البخاري).

وفي سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية على أكمل وجه، أوجب الإسلام تكريم الإنسانية لذات الإنسانية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(الإسراء:٧٠). فالإسلام لا ينظر إلى الفوارق في اللون والجنس والنسب، ولا إلى الجاه والمال والمنصب، فالناس كلهم لآدم، وآدم خلق من تراب.. وإنما التفاضل فيه بتقوى الله والعمل الصالح، وما يقدمه الإنسان لخدمة الإنسانية.

٥- الاجتهاد الجماعي: من مقاصد العبادات الاجتماعية، مقصد متعلق بأمر مهم تحتاجه الأمة، خاصة عند النوازل وهو الاجتهاد الجماعي. فدواعي الاجتهاد الآن قائمة وملحة أكثر من أي عصر مضى، والعلماء مطالبون -في ظل المستجدات والقضايا المعاصرة والقضايا العامة- باعتماد هذا اللون من الاجتهاد. فالقضايا الفردية يمكن لعالم أن يفتي فيها وحده، لكن القضايا العامة -أو بعبارة الفقهاء ما عمت بها البلوى- الأصل فيها أن تحال إلى العقل الفقهي الجماعي، ويكون ذلك باستصحاب ذوي العلم في التخصصات الشرعية على اختلاف مذاهبهم الفقهية، والتخصصات العلمية، مثل الطب والفلك والاقتصاد والاجتماع والسياسة والقانون، وغير ذلك.. وهذا الاجتهاد الجماعي في هذا العصر، متيسر بفضل تطور وسائل الاتصالات، فيجب تفعيله، ولا عذر لتأخيره أو تعطيله. ■

(*) عضو في مجمع البحوث الإسلامية / مصر.

د. محمد السقا عيد*

المخ البشري
لغز يبحث عن تفسير

أوضحت دراسة هولندية حديثة، أن هناك صراعًا مستمرًّا داخل العقل البشري يحدث عندما يحاول الإنسان استيعاب معلومات جديدة، ويتذكر أخرى اختزنها من قبل في آن واحد؛ فمثلاً عندما يقوم الإنسان بقيادة سيارة في مدينة غير معروفة له، ويقوم -في الوقت نفسه- بتفسير الإشارات المرورية المعروفة لديه، يكون

قد استرجع -من خلال آلية معقدة- معلومة قديمة واستوعب معلومة جديدة، الأمر الذي يُنشئ منافسة بين الذاكرتين الحديثة والقديمة.

ونجح القائمون على الدراسة في وضع تصوُّر لهذا الصراع وتصويره من خلال الأشعة، مبيّنين أن هناك "سنترالاً مركزيًّا" داخل المخ البشري يعمل على تنظيم تلك العملية عن طريق تنشيط بعض المراكز في المخ الواحدة تلو الأخرى.

كما كشفت دراسة علمية حديثة أجراها فريق من

اعترف العلماء بأن التعقيد الموجود في تركيب الدماغ لا يوجد في أعقد الأجهزة الإلكترونية التي اخترعها الإنسان، بل إنهم قالوا إنه لو تم جمع جميع الحواسيب في العالم، وتم ضغطها لتكون بحجم دماغ الإنسان، فلن يصل تعقيد مكوناتها تعقيد مكونات الدماغ.

العلماء بكلية "يونيفرستي كوليدج" في لندن النقاب، عن أن المخ البشري يتمتع بنظام إنذار مبكر عجيب، حيث يتمكَّن الإنسان من خلاله من تذكر الوقائع التي تعرض لها في الماضي وبطريقة لاشعورية.

لماذا لا تتجدد خلايا المخ؟

يبلغ عدد الخلايا العصبية في جسم الإنسان مائة ألف بليون خلية تعمل في توافق شديد للغاية، فخلايا الكبد تجدد نفسها بصورة كبيرة كل خمس أو ست سنوات، وتتجدد خلايا الكلى كل عامين، بينما لا تتجدد خلايا المخ؛ وذلك لأن الكبد والكلى يجددان خلاياهما لتعرضهما للسموم، فمثلاً إن لم تتجدد خلايا الكلى، لَما استطاع الإنسان أن يعيش أكثر من عام ونصف على الأكثر. وعدم تجدد خلايا المخ هي معجزة من معجزات الخالق تعالى في حقيقة الأمر، لأنه إذا تجددت خلايا المخ لاحتجنا لتعلم اللغة كل ست سنوات.

هناك سؤال يتردد على ألسنة كثير من الناس وهو؛ هل تختلف أدمغة العباقرة عن أدمغة الإنسان العادي؟ فمنذ وقت طويل شُغل العلماء بفكرة ارتباط القدرات العقلية للإنسان بالتركيب التشريحي للمخ، وهي الفكرة التي كثيرًا ما أدت إلى فحص أمخاخ العباقرة بعد موتهم، للوقوف على أسرار تفوّقهم. وفي هذا المضمار جرى تشريح أمخاخ الكثيرين مثل العالم والفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت"، ثم الموسيقار الألماني "باخ".

وفي القرن التاسع عشر أجريت في ألمانيا والسويد وكندا، بحوث مستفيضة لأمخاخ عدد كبير من الموهوبين، كان من بينهم عالم الفيزياء والرياضيات الشهير "كارل فريدرش جاوس"، والطبيب الكندي

hiragate.com

"وليام أوسلر" أول من درس الصفائح الدموية، وكذلك عالمة الرياضيات السويدية -الروسية الأصل- "سونيا كوفالفسكي". ومع بداية القرن العشرين، بلغ عدد نوابغ الفن والأدب والعلم، الذين فحصت أمخاخهم ١٣٧ شخصًا، غير أن نتائج كل تلك الدراسات لم تؤكد صراحة على وجود فوارق تُذكر بين أمخاخ أولئك الأفذاذ وأمخاخ العامة. إنه لم يرد أي ذكر لهذه الاختلافات المفترضة قبل عام ١٩٢٤م عندما توفي "فلاديمير لينين" أول زعيم للاتحاد السوفيتي؛ ففي ذلك الحين استدعي العالم الألماني "أوسكار فوجت" إلى روسيا لدراسة مخ "لينين" بناء على طلب رسمي من السلطات السوفيتية، التي أسست معهدًا لأبحاث المخ في موسكو خصيصًا لهذا الغرض. وبعد عامين كاملين من الدراسة، أعلن "فوجت" عن وجود بضعة اختلافات في مخ لينين، غير أن أحدًا لم يعلق أهمية كبيرة على ملاحظات "فوجت"؛ وذلك لأن "لينين" كان قد أصيب بعدد من الجلطات الدماغية في السنتين الأخيرتين من حياته، ومن ثم اعتُقد أن هذه الجلطات قد تكون مصدر الاختلاف في مخه.

أينشتاين وفحص دماغه

وأما آخر المشاهير الذين فُحصت أمخامهم فهو "أينشتاين، إذ عرف عن ذلك الفيزيائي الكبير أنه كان قد أوصى بالتبرّع بمخه لخدمة البحث العلمي. ويقال أيضًا إن أينشتاين لم يوص بذلك، وإنما عائلته هي التي وافقت بعد وفاته على التبرّع بمخه. وأيًّا كان الأمر، فالثابت أن عالم الباثولوجيا الأمريكي "توماس هارفي" الذي كلف بفحص جثمان أينشتاين إثر وفاته في عام ١٩٥٥م، سارع إلى أخذ المخ قبل مرور سبع ساعات على الوفاة، ثم حفظه بالطرق العلمية لدراسته. وبعد فترة من الفحص أعلن "هارفي" أنه لم يعثر على شيء مختلف في مخ أينشتاين، ولعل ذلك كان السبب في تراجع الاهتمام بفحص أمخاخ النابهين لفترة من الوقت.. إلا أن الأمر عاد ليفرض نفسه بقوة في الأوساط العلمية، بعد أن تسارع التقدم في أبحاث المخ، وبعد أن كشفت التقنيات الحديثة عن وجود خصائص تميز بالفعل أمخاخ الموهوبين في مجالات بعينها. أعيد فحص مخ أينشتاين بعد مرور ما يقرب عن ربع قرن على وفاته، وكان ذلك في جامعة كاليفورنيا (بيركلي)، حيث تم فحص أربع قطع كل منها بحجم قطعة السكر الصغيرة، مأخوذة من مناطق بعينها في مخ أينشتاين، وتمت مقارنتها مع أربع وأربعين قطعة مماثلة من أمخاخ أحد عشر رجلاً ممن ماتوا عن أعمار تقارب عمر أينشتاين عند وفاته. ولقد وجد فريق البحث أن نسب الخلايا المكونة لنسيج المخ عند أينشتاين تختلف عن نسبتها في الآخرين،

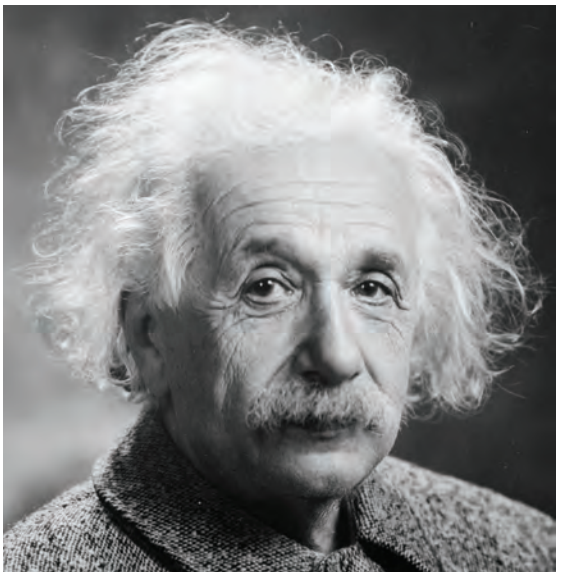

وذلك في منطقتين من المخ معروفتين بمسئوليتهما عن التخطيط والتحليل والمنطق الرياضي، وهي المجالات التي تفوّق فيها أينشتاين. وبعد ذلك بنحو عشرين عامًا -وتحديدًا في عام ١٩٩٩م- أعيد فحص أجزاء من مخ أينشتاين للمرة الثالثة في جامعة ماكماستر بكندا، وأعلن فريق البحث أن مخ أينشتاين يخلو من جزء من أخدود معروف يوجد في الأمخاخ العادية، واعتبر الباحثون أن غياب ذلك الجزء من الأخدود، يمكن أن يكون سببًا في سرعة توصيل المعلومات بين المنطقتين الواقعتين على جانبي الأخدود في مخ أينشتاين، فضلاً عن أنه أضاف إلى مساحة هذه المنطقة لتصبح عند أينشتاين أعرض من المألوف بمقدار ١٥٪. فهل كان مخ أينشتاين جديرًا حقًّا بكل هذا الاهتمام؟!

الخلاصة

يتباهى البشر في هذا العصر بما حققه من إنجازات علمية وتقنية في شتى المجالات، وخاصة في مجال أنظمة الاتصالات، وأجهزة الحاسوب، وشبكات المعلومات، وشبكات الطاقة الكهربائية.. ولكن إذا ما شرحت لمن يتباهى بهذه الإنجازات من تركيب وطريقة عمل الدماغ أو أي عضو من أعضاء جسمه، فإن مباهاته سرعان ما تتلاشى ويرتد إليه طرفه.. إذ يبلغ عدد التفاعلات الكيميائية التي تحدث في المخ في الثانية الواحدة بأقل تقدير ١٠٠ ألف تفاعل كيميائي. ويقدر

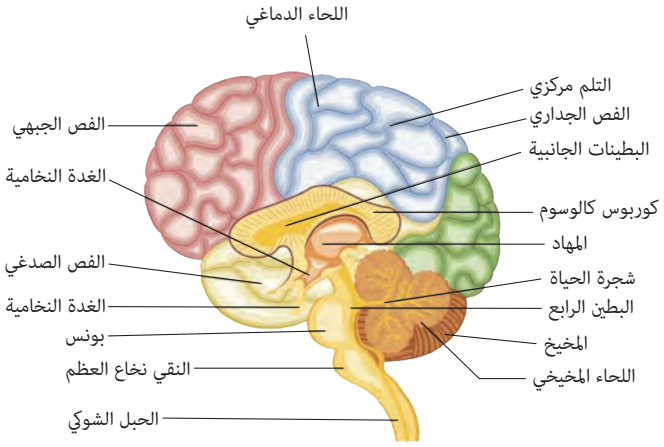

الدماغ

العلماء بأن حجم الشبكة العصبية للاتصالات داخل المخ تزيد عن ١٤٠٠ مرة من حجم شبكة التليفونات الثابتة والمحمولة على مستوى العالم.

ولقد اعترف العلماء بأن التعقيد الموجود في تركيب الدماغ، لا يوجد ولن يوجد في أعقد الأجهزة الإلكترونية التي اخترعها الإنسان، بل إن أحدهم قد قال إنه لو تم جمع جميع الحواسيب في العالم، وتم ضغطها لتكون بحجم دماغ الإنسان، فلن يصل تعقيد مكوناتها تعقيد مكونات الدماغ.

أما الوظائف التي يقوم بها الدماغ، فإن البشر لا زالوا يقفون عاجزين عن اختراع أجهزة تقوم بمثل هذه الوظائف، وعلى القارئ أن يقارن بين الحركات التي يمكن أن يقوم بها جسم الإنسان، مع تلك التي يقوم بها الإنسان الآلي أو الروبوت، وبين قدرة الدماغ على التعرف على ملايين الأشياء التي شاهدها لمرة واحدة، وبين فشل الحواسيب الجبارة على التعرف على أبسط الأشياء.

أما قدرة الدماغ على تمكين الإنسان من الإحساس بوجوده وبمشاعره وعواطفه، فلا أعتقد أن العلماء سيفكرون يومًا من الأيام في تصنيع أجهزة تقلده في فعل ذلك. وهكذا نرى أن الخالق أوجد كل جزء في المخ لوظيفة معينة؛ لكي تتكامل وظيفة المخ في النهاية لترتقي بالإنسان فوق جميع المخلوقات على الأرض. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

د. إدريس الكنبوري*

التفكر الفردي والتفكر الجماعي

في الوقت الذي لم تكن فيه كلمة العقل شائعة في العالم المسيحي خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وكانت عقائد المسيحية التي قننتها الكنيسة تخالف جميع العقول لكنها لا تقبل المناقشة إلا على حد السيف، جاء الإسلام بمثابة ميلاد للعقل الإنساني

الجديد، دينًا يريد تحرير الوعي الإنساني ويطرح على الإنسان مهمة التفكير فيه هو نفسه كدين. فقد كان الدين كما عرفته البشرية قبل ذلك، مجموعة من العقائد التي تُفرض على الناس بسلطة قهرية هي سلطة المؤسسة الدينية ورجال الدين، تدعوهم إلى التسليم بها دون جدال، ويُتداول حولها في مجامع كنسية سرية بين الأباطرة ورجال الكنيسة، قبل أن تخرج بعد ذلك إلى

لم يكتف القرآن بدعوة الإنسان الفرد إلى التفكير والتفكر، وإنما تجاوز ذلك إلى دعوة الجماعة إلى عقد مناقشات بين أفرادها بشكل جماعي، وتبادل الرأي والتحليل بكل موضوعية، والوصول إلى نتائج بعد ذلك، بناء على عمل الفريق.

العامة للتصديق بها؛ لذلك لم يكن هناك مكان لإعمال العقل والتفكير في الدين والسؤال عنه وعن عقائده، بل إن رجال الدين أنفسهم لم يكن لهم جميعهم الحق نفسه في السؤال، فقد كان الكثيرون منهم يتعرضون للقتل والحرمان الكنسي بمجرد ما يطرحون قضية معينة للمناقشة، حتى صار كل صاحب سؤال صاحبَ فرقة تتكون بعد ذلك بشكل تلقائي، حيث تعددت الفرق المسيحية حتى بلغت المئات. لذلك لم يكن ممكنًا أن يبرز العقل، ويؤدي مهمته التي أنيطت به منذ أن خلق الله الإنسان وأودع فيه موهبة العقل مميزًا إياه عن باقي المخلوقات، بل كان العقل مجرد وظيفة ميتة عند الإنسان المسيحي تشتغل في السر، فإن خرجت إلى العلن قتل صاحبها بتهمة الهرطقة أو التجديف أو مناقضة عقيدة المسيح. بالرغم من أن العقل اليوناني الذي افتخرت به أوروبا المسيحية في عصر التنوير، كان موجودًا بصفته معطى تاريخيًّا في الزمن قبل ذلك التاريخ، فإن المسيحيين لم يكونوا يعرفونه إطلاقًا، وظل مجهولاً لديهم طوال قرون عدة، إلى أن عرفوه عن طريق المسلمين في العصر الحديث.

وأمام هذا الواقع الذي كانت تعيشه البشرية في ذلك القرن، ما بين مسيحية مغلقة ويهودية متعصبة وديانات أرضية متفرقة يقف على رأسها زعماء قوميون أو قبليون يقومون مقام رجال الدين في الكنيسة المسيحية، جاء الإسلام بمجموعة من العقائد التي طلب من الإنسان الإيمان بها بعد اختبارها. وكانت تلك تجربة جديدة تمامًا في التاريخ، غالبًا ما نطوي الحديث عنها طيًّا ولا

hiragate.com

نتفكر فيها. لقد جرى التقليد على أن الأديان هي حزمة من العقائد، الهدف التسليم بها، وعلى أن التفكير فيها يشجع على العصيان والتمرد، ويمس بهيبة المؤسسة الدينية وسلطاتها، لكن الإسلام خرق هذه الأعراف، وعرض نفسه على البشرية مقترحًا عليها وضعه موضع الاختبار، وهو أمر كان مثيرًا للغرابة في ذلك الزمن؛ أن ينزل دين جديد يحث الإنسان على اختبار حقيقته!

وكان أول شيء حض عليه القرآن الكريم هو التفكير والتفكر بدل التسليم الأعمى، وذلك يعني أن القرآن يخاطب في الإنسان غريزة العقل لا شيئًا آخر، فتبينت الغاية الأولى من خلق موهبة العقل في الإنسان، وهي أن يتفكر في خلق الله فيؤمن به أو يكفر وفقًا لما أرشده إليه عقله، لكن بعد النظر في الدلائل ثم التكذيب أو التصديق بها. أما الغاية الثانية فهي المسؤولية، فتخصيص الإنسان بالعقل دون سائر المخلوقات ليس الغرض منه فقط التفكر والتفكير، بل تحمل المسؤولية أيضًا. وكان ذلك يمثل أكبر تشريف للإنسان في الكون؛ التشريف المتمثل في تمكينه من عقل واع يرشده، وقدرة على اتخاذ قرار مستقل يتحمل مسؤوليته، يقرره بعقله وحده دون قوة خارجية.

ونجد في القرآن الكريم آيات عدة وردت فيها دعوات إلى التفكر والتفكير، وحين يُذكر التفكر، فمعنى ذلك أن القرآن يدعو كل فرد إلى إعمال العقل بمفرده دون تأثير من أحد، لأن التفكير والتفكر عملية فردية، وهو يناقض التسليم. فقد قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس:٢٤)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الجاثية:١٣)، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل:٤٤)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾(الأنعام:٥٠)، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾(الروم:٨)، إلى غيرها من الآيات التي تدعو الإنسان إلى استعمال فكره وعدم تعطيله، وأن يصل بنفسه إلى نتيجة معينة حول حقيقة وجود الله سبحانه وحقيقة الإسلام.

بل إن القرآن لم يكتف بدعوة الإنسان الفرد إلى التفكير والتفكر، وإنما تجاوز ذلك إلى دعوة الجماعة إلى عقد مناقشات بين أفرادها بشكل جماعي، وتبادل الرأي والتحليل بكل موضوعية، والوصول إلى نتائج بعد ذلك، بناء على عمل الفريق، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(سبأ:٤٦). ■

(*) باحث في الفكر الإسلامي / المغرب.

الزهراء عبد الحميد محمد*

كيف نعلِّم أطفالنا القراءة؟

لا شك أن القراءة تزود الأطفال بالقدرة على التوافق الشخصي والاجتماعي، حيث تزودهم باتجاهات إيجابية وخبرات تفيدهم في التغلب على مشكلاتهم الشخصية، وتنمي لديهم الشعور بالذات وفهمها الفهم الأمثل. والقراءة ضرورة أساسية لإعداد الطفل الإعداد العلمي السليم، فمن خلالها يكتسب ويتعلم صنوف المعرفة التي نرغب في تعليمها له، أو التي ينبغي عليه أن يتعلمها. ومن خلال القراءة تتوفر للطفل أسباب التسلية والترفيه والاستمتاع؛ من خلال قصص أو كتب جيدة الفكرة سهلة الأسلوب، جميلة السرد تصور شخصياتها بدقة وأمانة شديدة.

حينما نقدم للطفل ما نريد أن يقرأه، ينبغي أن نعنى بزيادة الثروة اللفظية لديه، فنثري جوانب حصيلته اللغوية بكلمات جديدة ومعاني متعددة، مع ابتعادنا عن الغريب من الألفاظ، أو الإكثار المبالغ فيه من المترادفات من الكلمات. وينبغي أن نهتم بتدريب الطفل على استنباط الأفكار والمعلومات، فنسأله بعد

أن يقرأ شيئًا عن الموضوع الذي قرأ فيه، وماذا فهم منه، وأن يقسم الموضوع إلى أفكار أو أحداث مرحلية.. فنغرس فيه بذلك الدقة والعمق في فهم المادة المقروءة. وعلينا أيضًا أن نعوِّد الطفل على القراءة الصامتة بعد أن كان يقرأ قراءة جهرية، فنوفر عليه الجهد والوقت ونساعده على زيادة فهم ما قرأه.

وأيضًا حين نشرع في تعليم الطفل القراءة، علينا أن نعطي من أنفسنا القدرة والمثل في حب القراءة والمعرفة؛ فيتعين أن نهتم بالزاد القرائي للطفل اهتمامًا موازيًا بمأكله وملبسه، فنوفر له القصة والكتاب والمجلة.. ونشجعه على القراءة في أوقات معلومة، فينشأ الطفل محبًا للقراءة والمعرفة، ويجتهد دائمًا في البحث عن المعرفة أينما كانت.

متى يستعد الطفل للقراءة؟

بيّنتْ دراسات في علم النفس، أن استعداد الطفل للقراءة يطلب ثلاثة أنواع من النمو:

١– النمو العقلي: يعتمد هذا النوع من النمو على عاملين أساسيين، هما النضج الداخلي، والتدريب والخبرة. ونعني بالنضج الذاتي، تلك العوامل الأساسية التي تدخل ضمن مظاهر النمو العقلي ولها تأثيرها على الاستعداد للقراءة، وهي الوصول إلى عمر عقلي معين يسمح بالقراءة، وغالبًا لا يكون قبل سن السادسة إلا في حالات بعينها، وكذلك القدرة على تذكر أشكال الكلمات، ومدى تذكر المقروء والقدرة على التفكير المجرد، ثم القدرة على الربط بين المعاني، وكلها عمليات عقلية معرفية تتضمن نضجًا ذهنيًا معيّنًا.

أما التدريب والخبرة، فهما حصيلة عملية التنشئة الاجتماعية، والتربية الهادفة داخل الأسرة؛ حيث تربي الطفل في ضوء الخبرات المختلفة التي يمكنه الحصول عليها، والمدرسة هي التربية المقصودة والموجهة؛ ويبدو أثر المدرسة واضحًا على الاستعداد القرائي للطفل في زيادة الحصيلة اللغوية، وصحة النطق، والقدرة على تركيب الجمل، واستنباط المعاني المختلفة، بالإضافة إلى اتساع مدارك الطفل، والقدرة على التفكير في حل المشكلات، ثم القدرة على الاحتفاظ بسلسلة من الحوادث في العقل.

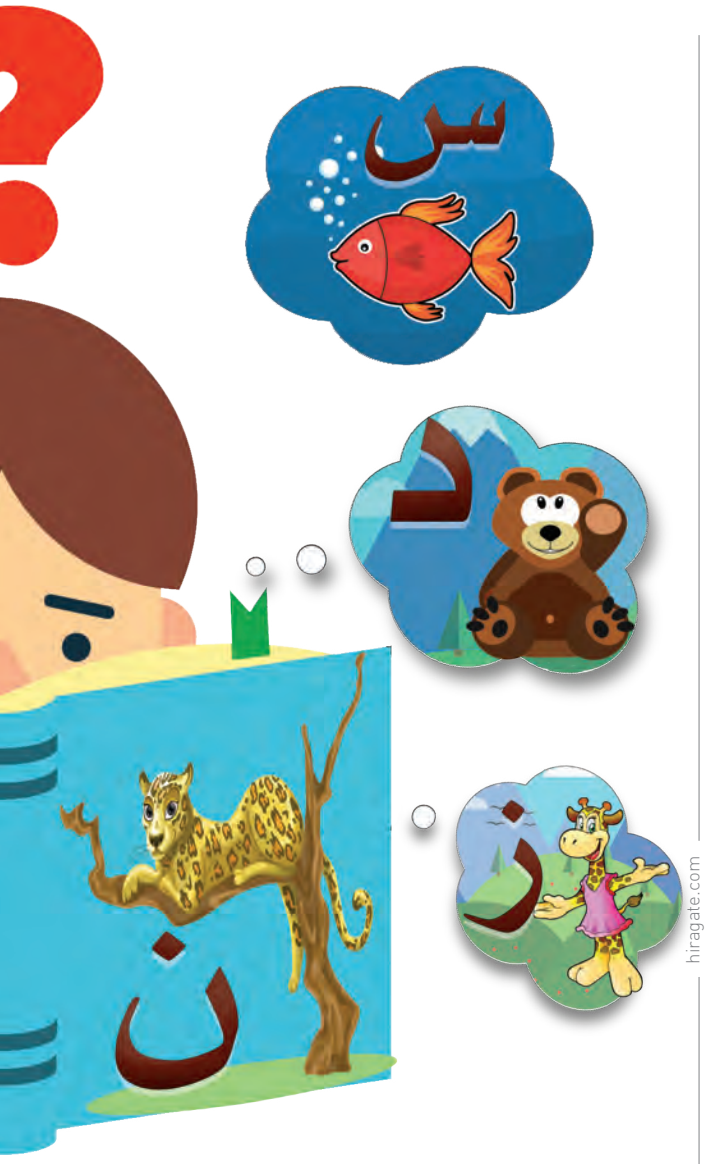

٢– النمو الجسمي: ويقصد به الصحة العامة للجسم، وسلامة الحواس الضرورية لتعلم القراءة كالسمع والبصر، وسلامة أعضاء النطق، ونمو العضلات المتحكمة في أطراف الأنامل في اليد اليمنى أو اليسرى في حالة الطفل الأعسر الذي يكتب بيده اليسرى.

٣– النمو الذاتي الاجتماعي: ويقصد به نمو المهارات الشخصية والاجتماعية لدى الطفل، وذلك من خلال مدى مقدرته على التوافق الاجتماعي والشخصي مع ذاته أولاً، ثم المحيطين به ثانيًا، مع وجود الاستعداد العاطفي الذي يلائم بين الطفل والموقف المدرسي، ويساعده على الاستجابة للعمل ما لم يكن متزنًا عاطفيًا ومتوافقًا توافقًا نفسيًا سليمًا.

hiragate.com

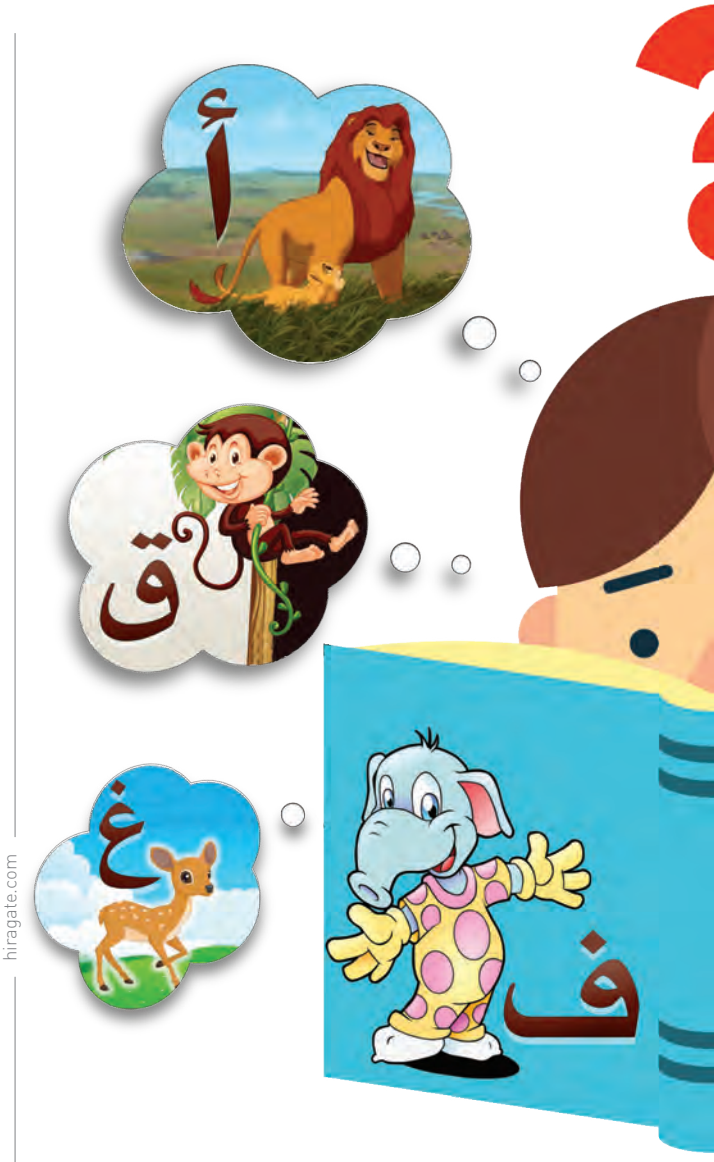

مراحل تطور القراءة عند الطفل

في مرحلة ما قبل الدراسة ينبغي أن يتعلم الطفل علاقة اللغة المكتوبة باللغة المنطوقة، وأن يفهم أن الكلمة المكتوبة تقابل الكلمة المنطوقة؛ فإذا قلنا له "أسد" مثلاً، فينبغي أن يرى صورته، ثم ندلُّه على كتابة اسمه والحروف التي يتكون منها الاسم.. ومن الضروري أن تكون الكلمات التي نعلّم الطفل القراءة من خلالها، من الألفاظ الشائعة على لسانه، المألوفة بالنسبة له.

وفي هذه المرحلة ينمو لدى الطفل بشكل تدريجي حصيلة لغوية من المفردات المتداولة، وبمرور الوقت يستطيع أن يفهم الجمل ويستخدمها الاستخدام الصحيح، ومن ثم تنمو لديه المقدرة على الاستماع والاستيعاب للقصص، ويستطيع كذلك أن يستخدم

حين نشرع في تعليم الطفل القراءة، علينا أن نعطي من أنفسنا القدرة والمثل في حب القراءة والمعرفة؛ فيتعين أن نهتم بالزاد القرائي للطفل اهتمامًا موازيًا بمأكله وملبسه، فينشأ الطفل محبًّا للقراءة والمعرفة، ويجتهد دائمًا في البحث عن المعرفة أينما كانت.

حراء

اللغة ويفهمها بدرجة تتناسب ونضجه العقلي.

ومن المعروف أن هناك فروقًا واضحة بين الأطفال في الاستعداد للقراءة، فهو الأساس في نمو القدرة على القراءة في مختلف مراحلها. كما توجد فروق فردية واضحة بين الأطفال في سن السادسة من العمر في عملية القراءة؛ ففي نهاية العام يكون الطفل العادي قد اكتسب حصيلة لغوية معينة يستطيع أن يتعرف عليها بالنظر.. ويكون قد وصل إلى درجة من الاستقلال في استخدام أساليب التعرف على الكلمات، ووصل إلى درجة من المهارة في القراءة الصامتة أو الجهرية للكلمات، وقد يستطيع أن يستقل بذاته في عملية القراءة.

وفي نهاية العام الثامن من العمر، يكون الطفل قد مشى في طريق القراءة من أجل الدرس والتحصيل واكتساب المعرفة خطوات واسعة، ويتكون لديه عنصر السرعة في القراءة الصامتة بدرجة أكبر من القراءة الجهرية، ويتكون لديه اتجاه إيجابي نحو الكتب والقراءة بوجه عام.. ويستطيع كذلك أن يقوم بعملية القراءة بمفرده التي أعجبته وأسعدته في ثوب من لغته البسيطة ومعانيه القليلة، ثم يتعلم القراءة. وليس ثمة شيء يستحوذ على اهتمام الطفل سوى قراءة القصة والاستماع إليها والاسترشاد بمعانيها وآدابها.

والقصة من الفنون الأدبية المؤثرة على السلوك القيمي للأطفال في المواقف اليومية، وهي أكثر فنون أدب الأطفال انتشارًا وجاذبية للأطفال، ومن أقدرها على إمتاعهم واستثارة مشاعرهم، وهي تنمي لديهم القدرة على الإبداع والابتكار.

وفي الأعوام التالية من عمر الطفل التاسع والعاشر والحادي عشر، تصبح القراءة لدى الطفل أداة لتحقيق

hiragate.com

الاستمتاع وتحصيل المعلومات بأنواعها المختلفة، ثم يصبح قارئًا مستقلاً، وبعد ذلك يسير نموه بخطى مطردة في طريق القراءة حتى يصل إلى مرحلة النضج القرائي في سن الشباب.

ماذا يقرأ الأطفال؟

في البدء كانت الحكاية، أو الحدوتة التي ترويها الأم أو المربية على مسمع الطفل حتى يتعلم القيم الفاضلة، أو يكفّ عن بكائه ويهدأ ويستريح، أو لتشجعه على تقديم الحكايات وتحلق به في أجواء الخيال؛ لتثري خياله وترضي ذوقه.. وتوجد أنواع كثيرة من قصص الأطفال منها:

أ- القصص الخيالية: وهي تدور حول الحيوانات أو الطيور أو المخلوقات الغريبة أو عالم السحر.. وتبرز من خيال القصص الأسطوري خصائص الشعوب والأمم، ويقوم البطل بخوارق العادات ويهدف لتكوين القيم الرفيعة.

وهي تقوم على مخاطبة عقل الطفل وخياله وعواطفه، وتتنوع فيها المشاعر بين الفرح والحزن والرضا والغضب والحيل البارعة والشجاعة والمغامرة التي يكون أبطالها من الحيوانات والطيور أو الأطفال الصغار.. وهي تغمر دنيا الطفل بالبهجة والسرور بما فيها من مغامرات مضحكة طريفة فيها العبرة، وأسلوبها قصصي، ومفرداتها مألوفة، وجملها قصيرة.

ب- القصص الدينية: وتتناول موضوعات دينية هي العبادات والعقائد والمعاملات، وسير الأنبياء والرسل، وقصص القرآن الكريم والكتب السماوية، والبطولات والأخلاق الدينية، وما أعده الله لعباده من ثواب أو عقاب، وأحوال الأمم السابقة وعلاقتها بقضية الإيمان بالله تعالى وموقفها من الخير والشر.. وكلها حكايات تدعو إلى الفضائل وتنفر من الرذائل، وتجمع بين المتعة والتشويق، وفيها حقائق دينية مفيدة، وفيها مواقف للعظة والاعتبار.

جـ- قصص المغامرات: وهي نوع تعرف بالقصص البوليسية، تدور حول انتصار الخير على الشر، وأن المنحرفين مصيرهم السجن، والجريمة لا تفيد.. وهي تبين كيف يمكن أن يكون الأطفال عنصرًا مفيدًا في المجتمع بذكائهم وشجاعتهم.. وهي تؤكد القيم التربوية المنشودة في المجتمع.

د- القصص العلمية: وتدور حول حدث علمي أو اكتشاف أو اختراع وقع في عصر من العصور، وتتناول قدرة المخترع على اجتياز العقبات التي تقف في طريقه وكيف يتغلب عليها، وصولاً إلى اختراعه أو اكتشافه العلمي.. إن الهدف الأساسي من القصة واستخدامها كأسلوب للتعليم، هو تنمية الخيال والسلوك والقيم المرغوبة، وتزويد الأطفال بالثقافة العلمية وأسلوب التفكير العلمي.

هـ- القصص التاريخية: وهي تعتمد على الأحداث التاريخية والغزوات. وقد يتضمن هذا النوع قصص الرحالة بما فيها من معلومات عن البلدان والقارات والمحيطات. وهو يتضمن عادة طرائف من الشرق والغرب ترمي إلى تنمية الخيال والإلمام بثقافة الناس وطبائعهم، وعاداتهم وحضارتهم.. وبها قصص طريفة حوادثها أخاذة وأسلوبها مشوق تبهج الطفل القارئ وتطلعه على ألوان مشوقة من الحياة، وتدفع عنه السأم وتعوده حسن التفكير.

و- قصص الرسوم: وهي القصص القصيرة التي تستخدم الرسوم والصور للتعبير عن حكاية بسيطة، تهدف إلى تنمية الخيال والسلوك السليم، والقيم المرغوبة، والاستعداد للقراءة لدى الأطفال الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة، أو الذين هُمْ بالصفوف الأولى منها. ■

(*) كاتبة وباحثة مصرية.

hiragate.com

صابر عبد الفتاح المشرفي*

التآزر الدلالي بين سور القرآن
سورة الصف نموذجًا

سورة الصف هي السورة الحادية والستون في ترتيب نسق المصحف بعد سورة الممتحنة وقبل سورة الجمعة، والحادية عشرة بعد المائة بترتيب نزول الوحي على حضرة سيدنا محمد ﷺ بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح[1]، وهي بهذا الترتيب من السور المدنية في الأصح[2]. ولعل مضمون السورة وما اشتملت عليه من معان، يوضح بجلاء مدى ملاءمة هذه السورة للفترة المدنية أو للعهد المدني، ويبرز ذلك في ثلاث نقاط رئيسية:

١- دعوة السورة المؤمنين إلى وحدة الصف والتراص في سبيل الله ﷻ، والوفاء بالعهود التي يقطعونها على أنفسهم. ولا شك أن هذا الخطاب يتلاءم

مـع طبيعـة العهد المدني الـذي يغلب على أهله الإيمان والالتـزام بأوامـر الله ﷻ، بخـلاف العهـد المكـي الـذي يُوجَّـه الخطـاب فـي أغلبـه إلـى المعانديـن والمكذبيـن مـن المشـركين، وتـدور قضاياه حـول التوحيـد والبعث والجزاء يوم القيامة، مما كان ينكره مشركو أهل مكة.

٢- ضرْبـه الأمثـال بأهم رسـولين يمثلان عقيدة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وبعضهم كان من مكونات النسـيج المجتمعـي فـي العهد المدني؛ والرسـولان هما سـيدنا موسـى وسـيدنا عيسـى ﷺ، يقـول الصابونـي في "صفوة التفاسـير": "إنما قرنت قصة موسـى وعيسـى ﷺ في هذه السـورة لأنهما من أنبياء بني إسـرائيل، وهما من أعظـم أنبيائهـم ومـن أولـي العـزم الذيـن ذكرهـم الله في كتابه العزيز بالثناء والتبجيل"(٣).

٣- التعريـض في السـورة بالمنافقين الذين يسـعون إلى إطفاء نور الله ﷻ بأفواههم، يقول صاحب "التحرير والتنويـر" في إشـارة إلـى أن المقصود في هذه الآية هم المنافقون: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(الصف:٨)، استئناف بياني ناشئ عـن الإخبـار عنهـم بأنهـم افتـروا علـى الله الكـذب فـي حال أنهم يدعون إلى الإسـلام، لأنه يثير سـؤال سـائل عمّـا دعاهـم إلى هذا الافتراء، فأجيب بأنهم يريدون أن يخفـوا الإسـلام عـن النـاس ويعوقـوا انتشـاره، ومثلت حالتهم بحالة نفر يبتغون الظلام للتلصص أو غيره مما يراد فيه الاختفاء"(٤).

وقـال فـي تفسـير سـورة التوبـة فـي قولـه تعالـى: ﴿يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِئُـوا نُـورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(التوبة:٣٢)، جيء بهـذا التركيب هنا لشـدة مماحكة أهل الكتاب وتصلبهم في دينهم، ولم يُجأ به في سورة الصف إذ قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؛ لأن المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خفية وفي لين وتملّق(٥).

إذن، فقـد تبيـن مما سـبق أن السـورة تلائم تنزلها في العهـد المدنـي موضوعًـا من حيـث تأكيدها علـى أهمية الصف في بناء المجتمـع المسلم، ومظاهر وحدة الصف فـي القـول والفعـل، ووسـائل تطبيقه، وآثـار معوقاته في الأمـم السـابقة، ومحـاولات المنافقين شـق هـذا الصف مـن داخله بالافتـراءات والأكاذيب، ثم ترغيب المؤمنين بالجـزاء الحسـن فـي الدنيـا والآخـرة، واحتـذاء النماذج الطيبـة فـي الأمم السـابقة، والظفـر بتأييـد الله ﷻ ونصره على الكافرين. وكذلك تلاءمت السـورة مقامًا بالحديث عن كل فئات المجتمـع التي كانت موجودة في المدينة، ودور كل منها إيجابًا أو سلبًا في موضوع السورة "وحدة الصف والالتزام به قولاً وفعلاً".

أمـا ملاءمـة السـورة لأسـباب نزولهـا فقـد ورد فـي ذلك ما يأتي: "عن عبد الله بن سـلام قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول ﷺ فتذاكرْنا وقُلْنا: لو نَعْلم أيَّ الأعمال أحـبَّ إلـى الله تبـارك وتعالى عمِلنـاه. فأنـزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيـمُ﴾ إلـى قولـه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ الَّذِيـنَ يُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِهِ صَفًّـا كَأَنَّهُـمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ إلى آخر السـورة، فقرأهـا علينـا رسـول الله ﷺ قولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لِـمَ تَقُولُونَ مَـا لَا تَفْعَلُونَ﴾؛ قال المفسـرون: كان المسـلمون يقولـون: لـو نعلـم أحـبَّ الأعمـال إلـى الله تعالـى لبذلنـا فيه أموالنا وأنفسـنا، فدلهـم الله تعالى على أحـب الأعمال إليه، فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾، فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا مدبرين، فأنـزل الله تعالـى: ﴿يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِـمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾"(٦).

ولن نقف طويلاً عند ملاءمة السورة لأسباب نزولها هذا، "فأسباب النزول لا تعدو أن تكون قرائن مما حول النـص.. وخلاصـة مـا انتهـى إليـه الأقدمون فيهـا أنها ما نزلت إلا أيام وقوعه، وليس السبب فيها، بمعنى السببية الحكمية العليّة"(٧).

أمـا الـذي يجـب أن نتأملـه ونقـف عنده فهـو ترتيب السـورة في نسقها المصحفي، وأوجه ملاءمتها لما قبلها ومـا بعدهـا من سـورٍ في هـذا الترتيب، "فمـن خصائص البيـان القرآنـي أنـه علـى طولـه، وتعـدد سـوره، وتنـوع مضامينـه وأغراضـه، يمثل نصًّـا واحدًا تتماسـك أجزاؤه وتتلاحم عناصره، حتى قيل: إن جميع سور القرآن كلام

hiragate.com

واحد يبين بعضٌ بعضًا، حتى إن كثيرًا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر، أو سورة أخرى"[٨].

وفي ضوء هذا التلاحم والترابط بين سور القرآن يتبين بعد التأمل عدة ملاحظات:

أ- أن هذه السورة مفتتحة بالتسبيح بينما سابقتها الممتحنة ليست كذلك، حيث بدأت بنداء المؤمنين مباشرة.

ب- أن التسبيح بالفعل الماضي قد تقدم قبلها مرتين؛ مرة في سورة الحديد، ومرة في سورة الحشر.

جـ- أن التسبيح في السورة التي تليها قد بدأ بالفعل المضارع، وقد تكرر مرة أخرى في سورة التغابن.

أما استفتاح السورة بالتسبيح بينما سابقتها "الممتحنة" ليست كذلك، فقد عدَّه بعضهم دليلاً على أن ترتيب سور القرآن ترتيب توقيفي من عند الله ﷻ؛ إذ "بينما تتابعت الطواسين والحواميم لم تتابع المسبحات؛ حيث جاءت بينها سور المجادلة، الممتحنة، المنافقون. ومن هنا فقد يُتوهم من النظرة الأولى أن الأَوْلى هو تتابع المسبحتين الحشر والصف في الترتيب، لتآخيهما في التسبيح، لكن بالنظر في العلاقة بين الحشر والممتحنة من جهة والممتحنة والصف من جهة أخرى، نرى أن التماسك النصي والتآزر الدلالي في هذا الترتيب التوقيفي يفرض نفسه بقوة، فسورة الحشر تتحدث عن المعاهدين من أهل الكتاب، وسورة الممتحنة تتحدث عن المعاهدين من المشركين، وهما حالتان من حالات السلم مع الآخر الذي بينه وبين المسلمين عهد وميثاق، ثم جاءت سورة الصف لتفصل الحديث عن الجهاد في سبيل الله. وبطبيعة الحال فإن الجهاد يكون ضد غير المعاهدين من الفريقين، وقد بسطت السورة الحديث عن هذا الأمر وشوقت إليه وحثت عليه، حتى لا تركن النفوس إلى السلم وتطمئن إليه في غفلة وتترك حذرها وحيطتها وشوقها وشغفها في نشر دين الله وإعلاء كلمته، حالة ركونها إلى الهدنة والموالاة مع غير المسلمين الذين يستثمرون هذه الحالة من الانحلال والفتور فيشقون الصف ويزعزعون وحدته، ويبطلون فريضة الجهاد

مع وضوح حقيقة الترابط بين سور القرآن وآياته في الاتجاه الواحد العام، فإن هذا لا يتعارض مع حقيقة أن لكل سورة تميزها في الجانب الذي تعالجه، وبصمتها الخاصة في الأسلوب الذي تنتهجه وتأخذ به القلوب والعقول.

ويهونون من أمرها في نفوس المسلمين فيَضعفون وينفرط عقدهم، ويغيب عنهم نصر الله وتأييده.

كما تحدثت سورة الحشر عن موالاة المؤمنين لبعضهم البعض، ثم موالاة المنافقين لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب. وجاءت الممتحنة لتحذر المؤمنين من اتخاذ الكفار أولياء لئلاَّ يشابهوا المنافقين في ذلك، وبسطت القول في ذلك حتى ختمت به، فكانت في غاية الاتصال، ولذلك فصل بها بين الحشر والصف مع تآخيهما في الافتتاح بـ"سبَّح". ومن المعلوم أن قطع العلاقة مع المعادين للدين، والحانقين على متبعيه والحريصين على تدبير المكائد لهم، يستوجب التآزر والتماسك والتوحد والتراص صفًّا واحدًا، كالبنيان المرصوص في مواجهتهم لإعلاء كلمة الله والحيلولة دون تدبيرهم الخبيث لإطفاء نور الله وانتشار دينه، ومن ثم جاءت سورة الصف لتؤكد على هذه المعاني ببنية السورة المتماسكة العناصر، والمتلاحمة الأجزاء في فرادة إعجازية عجيبة.

أما التلاحم الدلالي بين سورتي الصف والجمعة، فيبرز في عدة نقاط نكتفي منها بما يلي:

أولها: الافتتاح بالتسبيح في كلتا السورتين.

ثانيها: لما بشَّرت الصف على لسان سيدنا عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، بيَّنت سورة الجمعة دور هذا الرسول في هداية أمته، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة:٢).

ثالثها: حمَل حديثُ سورة الصف عن اليهود مرحلة من مراحل انحرافهم عن دين الله ﷻ، بدءًا من إيذائهم

hiragate.com

لنبيهم سيدنا موسى عليه السلام، وانحرافهم عن رسالته، ومن ثم ضلُّوا ولم يعودوا أمناء على دين الله في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(الصف:٥)، وتابعت سورة الجمعة بعض مظاهر هذا الانحراف بعد سيدنا موسى عليه السلام، حيث نكث بنو إسرائيل عن حمل هذه الأمانة وانقطعت صلتهم بأمانة السماء، وأصبحوا يحملون التوراة كالحمار يحمل أسفارًا، ولا وظيفة له في إدراكها، ولا مشاركة له في أمرها.

وقد تآزرت المرحلتان في السورتين، لبيان أن أمانة الدين الإلهي التي نكص عن حملها بنو إسرائيل، قد استقرت عند النبي الخاتم وأمته الذي بشر به سيدنا عيسى عليه السلام أن بعد كان مصدِّقا عليها من قبل، ليظهر هذه الأمانة على الدين كله ولو كره المشركون، ومهما حاول المنافقون إطفاء نورها.

رابعها: لما ختم سورة الصف بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، ختم سورة الجمعة بالأمر بالجمعة، وأخبر أنها خير من التجارة الدنيوية.

خامسها: تناسبت الجمعة مع الصف في الاصطفاف، "فالصفوف تشرع في موضعين: القتال، والصلاة، فناسب تعقيب سورة صف القتال بسورة صلاة تستلزم الصف ضرورة وهي الجمعة، لأن الجماعة شرط فيها دون سائر الصلوات"[٩].

هذه بعض من الظلال المشتركة بين السورتين التي تؤكد على أن الخيط الناظم ممتد في نسيج النص القرآني كله من أوله إلى آخره، على تنوع سوره وتعدد مضامينه وأغراضه، "بحيث يبدو هذا النص للقارئ المتأمل بمثابة بنية دلالية متلاحمة الأركان، متواشجة العناصر، أو بمثابة حلقة متلائمة الأجزاء لا يُدرى أين طرفاها"[١٠]، أو على حد تعبير البقاعي يتضح بهذا "أنه لا وقف تام في كتاب الله، ولا على آخر سورة "قل أعوذ برب الناس"، بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها أو أشد"[١١].

ومع وضوح حقيقة هذا الترابط بين سور القرآن وآياته في الاتجاه الواحد العام الذي أكده كثير من العلماء والباحثين في دراساتهم المفصلة، فإن هذا لا يتعارض مع حقيقة أن لكل سورة تميزها في الجانب الذي تعالجه، وبصمتها الخاصة في الأسلوب الذي تنتهجه وتأخذ به القلوب والعقول. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الهوامش

(١) جعل الزركشي في البرهان سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة، ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ١/١٩٤.

(٢) ينسب هذا الرأي إلى الجمهور، ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ١/٥٠.

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني محمد علي، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٣/٣٥٤.

(٤) ابن عاشور التونسي محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٢٨/١٦٩.

(٥) المرجع السابق ١٠/١٧٢.

(٦) أسباب نزول القرآن، النيسابوري أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدي، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ص:٤٤٧.

(٧) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن (الدكتورة) ، دار المعارف، ط٧، ص:٢٣.

(٨) في رحاب القرآن الكريم، تأملات بلاغية، حسن طبل (الدكتور)، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ٢٠١٥، ج١/٢٠.

(٩) أسرار ترتيب القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص:١٤١.

(١٠) في رحاب القرآن الكريم، تأملات بلاغية، حسن طبل (الدكتور)، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ٢٠١٥، ج١/٦٠.

(١١) نقلاً عن المصدر السابق، ج١/٦٠.

hiragate.com

د. صهباء بندق*

لمس الوجه في أزمنة كورونا

لا شك أنك بدأت بتغيير بعض عاداتك في ظل جائحة كوفيد-١٩ الحالية، مثل سدّ فمك عند السعال بمرفقك بدلاً من يديك، أو تحيّة الآخرين بمرفقك أو من بعيد بدلاً من المصافحة.. ولكن على النقيض من السعال والمصافحة، تُعدّ عادة لمس الوجه عفوية يقوم بها الناس لا شعوريًّا. فالناس يقومون بلمس وجوههم لا شعوريًّا بمعدّل ٩-٢٣ مرة في الساعة الواحدة، على الرغم من معرفتهم ما يحمله هذا التصرف من مخاطر. فلماذا يصعب علينا الامتناع عن لمس وجوهنا؟ وكيف يمكننا التوقف عن ذلك؟

القول أسهل من العمل

واحدة من أهم النصائح للحد من الإصابة بـ"كوفيد-١٩"، هي المواظبة على غسل اليدين بالماء والصابون، أو تنظيفهما بمطهر كحولي لليدين. ولكن على الرغم من أن غسل اليدين يعتبر إجراءً بديهيًّا تعلّمه كل شخص

منا تقريبًا، أثناء صغره في حضانات الأطفال والمدارس الابتدائية، إلا أن معظم الناس ينسون القيام به، أو يتناسوه حالما يكبرون.

عدم لمس الوجه نصيحة أخرى يسهل قولها أكثر من فعلها والمداومة على تنفيذها، ولا شك أنك في ظل هذه الجائحة قد لاحظت استحالة الحفاظ على سكون حركة يديك على الرغم من بساطة القول بذلك نظريًّا. فمن الصعب أن نقلق بشأن لمس وجهنا قدر شعورنا بالقلق الذي يدفعنا إلى غسل يدينا بشكل روتيني طوال اليوم؛ لأننا نلمس وجوهنا بشكل عفوي تمامًا، ولا علاقة لوعينا وإدراكنا بذلك السلوك.

يداك قنبلتان موقوتتان!

أنفك وفمك وعينك نوافذ لجميع أنواع الأمراض؛ لكي تُصاب بعدوى كورونا (كوفيد-١٩)، لا بد أن يدخل إليك الفيروس من أحد هذه المنافذ الثلاث حصريًّا، إذ يمكن أن تلتقط عدوى كوفيد-١٩ عن طريق استنشاق القُطيرات الصغيرة التي يفرزها الشخص المصاب، من أنفه أو فمه عندما يسعل أو يعطس أو يتكلم.

ويمكن أن يصل الفيروس إلى رئتيك من خلال يديك.. فهذه القطيرات وزنها ثقيل نسبيًّا، ويمكن أن تحط على الأشياء والأسطح المحيطة بالشخص المصاب، مثل الطاولات ومقابض الأبواب ودرابزين السلالم.. ما يزيد من احتمالية تلوث يديك بالفيروس، خاصة مع إمكانية بقائه نشطًا ومُعديًا فوق الأسطح الزجاجية والمعدنية والبلاستيكية لعدّة أيام، يمكن خلالها أن يصاب الناس بالعدوى عند لمسهم هذه الأشياء أو الأسطح، ثم لمس أعينهم أو أنفهم أو فمهم.. مما يزيد من قدرة هذا الفيروس على الانتشار بسرعة.

ولكن حتى في الأوقات العادية التي لا يتفشى بها وباء يتسم هذا السلوك (لمس الوجه) بالخطورة؛ فأكثر من ثلاثة أرباع الأمراض تنتشر عبر الأيدي. ومن الاحتمالات السهلة أن نلمس هذه الأسطح الملّوثة كثيرًا خلال ممارستنا حياتنا اليومية، فحركة بسيطة ومعتادة مثل تعديل نظارتك، أو مسح عينك أو قضم أظافرك أو حتى حكّ أنفك بشكلٍ عفوي بيدين غير نظيفتين.. تلك العادات العفوية البسيطة قد تكون كافية لإصابتك بالعدوى بسهولة، ما يعني ضرورة أن نتوقف عن لمس وجوهنا، لكن تطبيق ذلك ليس سهلاً كما يبدو.

وأظهرت الدراسات أن الطلاب، وعمال المكاتب، والعاملين في المجال الطبي، وركاب القطارات، يلمسون وجوههم لا شعوريًّا بمعدل ٩-٢٣ مرة في الساعة الواحدة. وتوصلت دراسة أجريت في عام ٢٠١٥م، شملت ٢٦ من طلاب كلية الطب بجامعة سيدني في أستراليا، إلى أنهم أيضًا لا يستطيعون مقاومة أنفسهم بشأن ممارسة هذا السلوك، فيما يُفترض أن يكون طلاب كلية الطب أكثر وعيًا بالمخاطر مقارنة بغيرهم. ومن خلال تحليل مقاطع فيديو مسجلة،

hiragate.com

سجلت الدراسة أن الأطباء المستقبليين، الجاري تصويرهم، قاموا بلمس وجوههم بمعدل لا يقل عن ٢٣ مرة في الساعة الواحدة، وبنسبة ٤٤٪ تم لمس العينين أو الأنف أو الفم.

لماذا نجد صعوبة في التوقف عن لمس وجوهنا؟

على الرغم من أن معظم الأنواع الحية قد تلمس وجوهها في إطار ممارسة تصفيف الشعر أو كوسيلة لإبعاد الحشرات، فإننا نشترك مع بعض رتب الثدييات المعروفة بـ"الرئيسيات" في أننا لا نستطيع منع أنفسنا من لمس وجوهنا، فالأمر على ما يبدو يتعلق بطريقة تطورنا.

بعض الفرضيات ترى أن هذه العادة ليست جديدة، فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن البشر يبدأون بلمس وجوههم وهم أجنة في الرحم، ما يعني أننا جميعًا اعتدنا على ذلك قبل أن نولد، بعد ذلك نبدأ بلمس وجوهنا بشكل متكرر في سن مبكرة ويتحول ذلك السلوك إلى عادة بمرور الوقت.

في الحقيقة، يخفف لمس الوجه من حدة الانفعالات اللحظية التي تجعلنا نشعر بعدم الارتياح، مثل الحكة وتوتر العضلات. وعادةً ما تنتهي هذه الانفعالات في غضون دقيقة تقريبًا، لكن لمس الوجه يخفف هذا الشعور في الحال، ويجعل منها استجابةً معتادة من الصعب تغييرها. وخلُص خبراء في العلوم السلوكية، إلى أن عملية لمس الوجه بشكل تلقائي، تعد وسيلة تساعد في التحكم في العواطف وإبراز قدر من الاهتمام.

يأتي هذا السلوك أحيانًا لأسباب أخرى، مثلاً في إطار آلية لتهدئة بعض المخاوف، فقد يساعدنا لمس الوجه في تنظيم العواطف وتهدئة أنفسنا. وفي أحيان أخرى، وفقًا لما ذكره "داتشير كيلتنر" أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا؛ يعد لمس الوجه بطريقة لاشعورية وسيلة للمغازلة، وأحيانًا كوظيفة الستائر على خشبة المسرح، إشارة لانتهاء فصل واحد من أحداث الدراما الاجتماعية، وإيذانًا ببدء فصل جديد.

إستراتيجية الحد من لمس الوجه

إذا كنت لا تستطيع أن تتوقف عن لمس وجهك، فإنها ليست نهاية العالم، حيث إن هناك حيلاً وتقنيات لتغيير السلوكيات المعتادة، عندما تلمس الأسطح الملوثة بيديك، قد تساعدك الاقتراحات التالية على تجنب لمس وجهك قبل غسل يديك مرة أخرى.

١- تدرب على عكس العادة: التدريب على عكس العادة، أحد تقنيات العلاج السلوكي الراسخة التي تساعد الناس على التوقف عن مجموعة متنوعة من السلوكيات التي تبدو عفوية، مثل التشنجات اللاإرادية، قضم الأظافر، التلعثم وغيرها.. تتم هذه التقنية عن طريق تدريب الأشخاص على مراقبة المحفزات غير المريحة

التي تدفعهم للقيام بهذا السلوك، ومن ثم اختيار سلوكٍ آخر بديل يمكن استخدامه حتى يختفي هذا المحفز. بالإضافة إلى تغيير بعض الشروط المحيطة في بيئتهم للتخفيف من حدة هذه المحفزات.

في كل مرة تلمس فيها وجهك، راقب كيف لمست وجهك، ولاحظ ما هي الرغبة أو الإحساس الذي انتابك قبل أن تلمسه.. ما هو الموقف الذي كنت فيه.. ماذا كنت تفعل وأين كنت.. وما هو الشعور العاطفي الذي كنت تشعر به.. إذا كنت لا تدرك أنك تقوم بلمس وجهك عندما يحدث ذلك، اطلب من شخص آخر أن يساعدك وينبهك إلى ذلك.

يمكن أن تكون المراقبة الذاتية فعالة أكثر عندما تقوم بتدوين ما يحدث معك بالضبط. يمكنك إنشاء سجل

hiragate.com

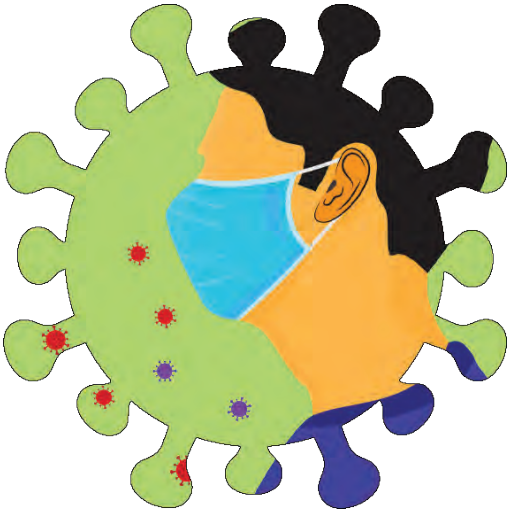

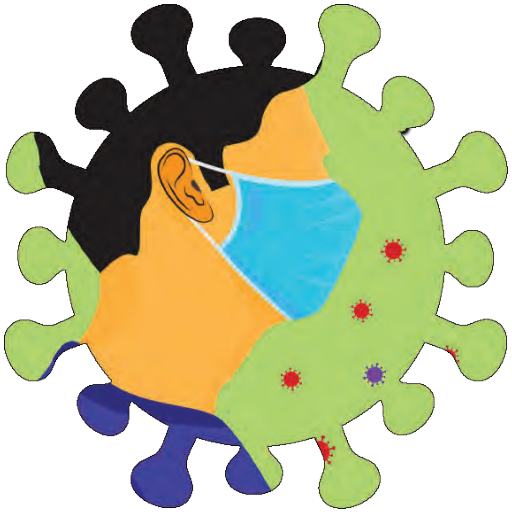

تدون فيه بإيجاز كل موقف لمست فيه وجهك، على سبيل المثال، يمكنك كتابة الملاحظات التالية: قمت بحكّ الأنف بالأصابع، شعرت حينها بتهيّج، كنت في المكتب.. قمت بتعديل النظارات، شعرت بتنميل في اليدين، كنت محبطًا.. قمت بإراحة ذقني على كفّي، كنت أشعر بألم في الرقبة، كنت حينها أقرأ.. قمت بعضّ الأصابع، شعرت بحكّة، حينها كنت أشاهد التلفاز.. قمت بقضم أظافري، كانت هناك زائدة جلدية مزعجة.. قمت بفرك أذني، كنت أفكر وأسرح بخيالي.

تكون المراقبة الذاتية أكثر فعالية إذا شارك الناس ملاحظاتهم علنًا، لذا فكّر في مشاركة نتائجك مع الأصدقاء، أو نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي.

مؤخرًا تم ابتكار تطبيق جديد لرصد تحركات المستخدم أمام كاميرا الكمبيوتر أو الهاتف الذكي، وينبهه بأنه قام بلمس وجهه ويتابع عدد المرات التي يقوم فيها المستخدم بذلك. يمكنك أن تجرب ذلك؛

قُم بردة فعل جديدة معاكسة.. الآن، بعد أن أصبحت واعيًا ومنتبهًا للسلوك الذي تريد تغييره، يمكنك استبداله بردّ فعل معاكس لحركات العضلات اللازمة للمسِ وجهك. يمكنك -مثلاً- وضع يديك في جيوب البنطلون، وتشبيك يديك خلف ظهرك، وإحكام قبضة يدك وضمها في حجرك أو الجلوس عليها، والضغط براحة يدك أعلى الفخذ أو مدّ ذراعيك على الجانبين.

وتوصي بعض المصادر ببعض الحيل السلوكية، مثل قيامك باستخدام يديك في شيء آخر. يمكنك مثلاً فرك أصابعك ببعضها البعض، أو حمل قلم والتلاعب به، أو الضغط على كرة ضغط (كرة مطاطية قابلة للتمدد والتقلص، صغيرة الحجم لتلائم حجم الكف، يمكنها تخفيف التوتر والضغط النفسي من خلال الضغط عليها عدة مرات). لا ينبغي أن يتضمن النشاط المنافس لمس أيّ جزء من رأسك.

بالنسبة للعادات التي يصعب تغييرها، فإن التلاعب بالأشياء بيديك ليس بنفس فعالية أسلوب ردّ الفعل المنافس، ربما لأن الناس يميلون إلى اللعب بالأشياء عند شعورهم بالملل، بينما يميلون للمس وجوههم عندما يشعرون بالتوتر والقلق.

تحكّم في المحفزات التي تدفعك للمس وجهك؛ يمكن أن يقلّل تغيير بعض العوامل في البيئة المحيطة من العوامل المحفزة للمس وجهك، والحاجة لاستخدام ردود فعل بديلة. استخدم السجل الخاص بك الذي دوّنته لمعرفة المواقف، أو العواطف المرتبطة بلمس وجهك. على سبيل المثال، إذا استمرت نظارتك في الانزلاق فوق أنفك، يمكنك استخدام علّاقات الأذن المخصصة لتثبيت النظارات، أو حتى أربطة الشعر لمنع انزلاقها.. إذا كنت تقوم بقضم أظافرك، يمكنك قص أظافرك، أو ارتداء قفّازات، أو ضمّادات طبية على أطراف أصابعك بحيث تمنع قضم أضافرك أو عض أصابعك عفويًّا. ■

(*) طبيبة متخصصة في علم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة / مصر.

hiragate.com

د. محمد باباعمي*

النعمة والمنعِم

تردَّدت طويلاً قبل أن أكتب هذه الكلمات، قلبي يدقُّ متسارع النبضات، أناملي تتراقص وهي تخطُّ الحرف تلو الحرف مرتجفات؛ لأني سأبوح لك -أخي أختي- وحدك بسرّ من أسراري، وسأفضي إليك بما اعتبرتُه "خاصًّا بي" طولَ عمري.. وأنا على يقين أنك مثلي تمامًا، دائمَ التلاوُم في قرارة نفسك في شأنه، ولكنك لم

تصارح به ضميرك -ولا الناس من حولك- إلاَّ لَمامًا.

أنا الآن أكتب مقالي في خلوة خالية، وأنسج دقَّات قلبي في سكون سكين، وحدي في الصالون.

نعم وحدي.. حريصٌ على أن لا ينتبه إليَّ مَن بالدار.. ألتفتُ يُمنة ويُسرة مخافة عفريتٍ من العفاريت يربُض إلى جنبي.. ألقي السمعَ بعيدًا.. متوجّسا خيفةً من شياطين الليل أن تتخافت على أثري؛ ذلك أنَّ أسفل الشاشة أمامي مكتوب عليه "فقط للكبار"، أو لعلَّه كتب فيه "لمن فوق الثامنة عشر".

هو سرٌّ إذن، وهو لا يعني الصغارَ في شيء.. ولقد يعنيهم يومَ يكبُرون، أو يهمُّهم حين يشتدُّ عودُهم فيتصلَّبون.. يَعنيهم ساعةَ يكونون أحرارًا طُلقاء، يَختارون ولا يُختار لهم، يقررون ولا يقرّر أحدٌ بديلاً عنهم.. ساعةَ يفعلون ما يشاؤون، ويريدون ما يفعلون.. يومَها فقط يليق بهم الاطلاع على سرّي المكنون.

رجاءً ثم رجاءً.. لا تخالفوا التعليمة الصارمة، ولا تتجاوزوا الشرط الذي بيني وبينكم: "فقط للكبار، وليس للصغار!".

...

ذلكم السرُّ الذي أبوحُ به لأوَّل مرَّة، أنقلُه بأمانةٍ إلى قلبك وقرارة نفسك -أختي أخي- ولا يعني عقلَك في شيء.. إنه من مقامات القلوب والعواطف فقط، وليس موجَّها للتحليل والتركيب، ولا للمناقشة والتوضيب.. ذلك أنه لا ينتظر الحجَّة والدليل، يكفيه أن يجد مِن الوجدان المرهَف التصديقَ والتحقيقَ.

سِرّي أنا، أني يومَ كنتُ صغيرًا، كنت أحلم بالكثير.. كانت أحلامي لا يحدُّها حدٌّ ولا يوقفها سدٌّ.. كنتُ أحلم بمالٍ وفيرٍ لم يؤتَه أحدٌ من العالَمين.. وبامرأة جميلة لم تر مثلها عينٌ قطُّ.. وبـ"فيلا" فيها مكتبة وحديقة ومسبح وقاعة رياضة وصالونات كثيرة.. وبسيارة فارهة لا يملكها إلاَّ خاصة الخاصة من الأثرياء.. وبشُهرة يبلغ مداها أقاصي الدنيا وأدانيها.. وبعلمٍ يشهد له الأوَّلون والآخِرون، ويعترف به السابقون واللاحقون.

كنت أحلُم بصحةٍ لا يعتريها سقمٌ، وجسدٍ لا يحتاج إلى دواءٍ.. وبأطفال على المقاس، قدًّا وقامة، بياضًا وصفاء، ذكاء ونباهة.. باختصار: أطفالٌ فصَّلتُهم بعناية من غلاف مجلَّتَيْ "Parents" و"Enfant".

كنتُ أحلم بتجارة لا تبور، وبصناعة دومًا آلاتها تدور.. وبضيَعٍ ومزارع منها الغلالُ لا تبيد أبدًا، وفيها من الخيرات ما لا يُحصى عدًّا ولا عددًا..

وبأملاكٍ وممتلكات هنا وهنالك، في البلاد "بأغلان" اثنان (واحدٌ للشتاء وآخر للصيف)، وبالتل اثنان (واحدٌ للعائلة وآخر للراحة)، وفي فرنسا شقَّة، وفي إسطنبول شقَّة.. ولمَا لا تكون لي في المدينة المنوَّرة أو مكة المكرمة شقَّة لِحين الحج والعمرة!

كنتُ أحلمُ بوطنٍ أحسن من الجزائر، وأخطّط للهجرة إلى بلدٍ أهنأ من بلدي الجزائر؛ بلدٍ كلُّه حسناتٌ وليس فيه سيئة واحدة.. وطنٍ يجمع محاسن أمريكا وألمانيا، ومباهج باريس وجونيف، وشعائر مكة والمدينة.. كنتُ أحلم.. وأحلم.. وأحلم.

ولقد قالوا لي وأنا على مقاعد الدراسة: "ليس للحلم حدٌّ ولا سدٌّ، فلا توقف خيالك عند نقطة، ولا تقصُر أحلامك على مجال".

وبما أني كنتُ وديعًا سميعًا، فقد قلت لهم: "سمعًا وطاعة".

واستمرَّ الحلم إلى ما شاء الله له أن يستمر.. استمرَّ الحلمُ الجميل إلى أن انتقلتُ من غرفة الصغار إلى غرفة الكبار.

...

فجأة.. تسارعت الليالي والأيام، مثل برقٍ خاطفٍ، أو وميضٍ هادفٍ، أو نبرة أو هاتفٍ..

فجأة.. سريعًا.. في أقل من لمح البصر.. لا أتذكَّر كيف مرَّت الساعة التي مرَّت، ولا كيف حلَّت الساعة التي حلَّت.

فجأة، صرتُ كبيرًا، وعلامة ذلك أني أنهيتُ دراستي، فتزوَّجتُ، فتوظَّفتُ، فتملَّكتُ، فولَدتُ.. ثم

hiragate.com

شربتُ وأكلتُ، وتنعَّمتُ وتمتَّعتُ، وأقمتُ وسافرتُ.

فجأة، حلَّت الحقيقةُ محلَّ الحلم، فتبدَّدت تلك الصورة الوردية من خاطري رويدًا رويدًا، وحلَّت مكانها صورة ليست قاتمة عابسة، ولكنها ليست بألوان الطيف سابغةً.

صورةٌ هي بين بين.. هي "ساعةٌ بساعةٍ"..

صورةٌ، فيها صحَّة وعافية مع بعض الأسقام أحيانًا.. أمرُض ثم أُشفى، أضعُف ثم أقوى..

صورةٌ فيها زوجة طيبة صالحة، لها جمالها الخاصُّ بها، وهي لا تنافس الممثلات ولا عارضات الأزياء، ولكنها تسرُّني وتملأ قلبي سكونًا وسكينة، جمالاً وبهاء.

صورةٌ بها بيتٌ من حَجر، ليس ضيّقًا ولا واسعًا.. فيه مُسحة من جمال، وفيه زوايا تحتاج إلى معالجة وترميم؛ به محاسنُ لا تخلو من عيوب، وعيوبٌ لا تخفيها المحاسن.. بيت كباقي بيوت الناس، وكفى.

صورةٌ ترسُم أولادًا فيهم الذكرُ والأنثى، الطويلُ والقصير، المجتهدُ والأقل اجتهادًا، الصحيحُ والسقيم؛ لكنهم أولاد أستطيع أن أنسبهم إليَّ باعتزاز، وأفخر أنهم بعضٌ مني، وأنهم مددٌ لي بلا احتراز.

صورةٌ لوطنٍ، لبلدٍ، لجزائرَ.. ليست أفضل البلدان على الإطلاق، ولا هي أسوأها على الإطلاق.. هي بضعٌ مني وأنا بعضٌ منها.. بلدٍ كلُّ ما فيه جميلٌ ما لم تمسَّه يد إنسان، بل وحتى إنسانُه جميلٌ ما لم تفسده الماديةُ والعبثية، ودرك الشقاء والهوان؛ جزائرَ رائعة ما لم تشوّهها الفهوم الخاطئة للدين، وللحضارة والثقافة والتمدين. صورةٌ.. صورةٌ.. صورةٌ..

...

غير أني، وهذا هو السرُّ الذي أفصح به إليك -عزيزي عزيزتي- وهو السرُّ الذي أهمس به في أذنيك دون غيرك؛ فلا تنسَ الشرط يا رعاك الله: "فقط للكبار!".

غير أني، صرتُ دائم النظر إلى النعمة: مِكثارًا مِهدارًا، لا أرضى بالدون ولا بالقليل.. غير أني، لا أجد أبدًا حلاوة ما وُهِبتُ، ولكني دومًا أشكو من مرارة ما مُنعتُ.

نسيتُ "المنعِم" في قرارة نفسي حتى وإن كنتُ قد ذكرته باللسان، وأحيانًا حين الصلاة وحين الصوم أذكره لزمن قصير، ثم لا ألبث أن أنساه. نسيتُه، فلم أعرفه حقَّ المعرفة، ولم أقدره حق القدْر. نسيتُه فلم أقابله بالشكر لكن بالضَّجر.

حراء

فكنتُ كلَّما حلمتُ بشيء، بأمر، بمرتبة، بمكسب.. يأتيني، وحين يأتي أمرُ عليه كأن لم يأت. ولا أجد الوقت الكافي لتمام الإحساس بالنعمة، ولا لكمال النظر إليها والتمتع بها.

بعضُ منازلي وقصوري، لا أسكنها إلاَّ لأيام.. وزوجتي وأولادي لا أجد الوقت الكافي للجلوس إليهم.. ودراهمي ومالي مكدَّس هنا في بنكٍ ومصرف، وهنالك في حركة ومتجر ومقصف.. جسدي وصحَّتي لا ألقي لها بالاً، وهي تُتعبني حينًا وأرهقها حينًا.

كنتُ أنا "المنعَم عليه" شديدَ التعلُّق "بالنعمة".. يا للحسرة.. حتى طوت الأيامُ الأيامَ، والتهمت الأحلامُ الأحلامَ.. كبُرت سنًّا، وشخت عُمرًا، مثلما أرى أحيانًا في الأفلام.

ولم تزد "النعمةُ المنعَم عليه" سعادةً، بل أحيانًا زادته رهقًا، وأعيته ولم ترحه بتاتًا..

الراحةُ! تلك كلمةٌ زالت من قاموسي؛ حتى صرتُ أردّد مع المرددين: "لا راحة في الدنيا"، و"لا راحة إلاَّ في القبر" (وِي اخسَنْ ارَّاحَت أتياف أنِيل).

انتقلت إذن من زمن الصغار إلى زمن الكبار، من عالم الأحلام إلى عوالم الآلام..

فكنتُ وأنا في الأربعين، ثم الخمسين، ثم الستين، فالسبعين.. كنتُ كلَّ يوم أرمي حلُما إلى وراءٍ، وأستقبل ألمًا من أمامٍ.

...

رجاءً لا تفهموني خطأً، فأنا -ولله الحمد والمنَّة- أصلّي وأصوم، ولقد حججتُ واعتمرتُ، وليست لي

hiragate.com

مشاقُّ من مثل الخمر والدخان، ولا أنا ممن عقَّ والديه أو أتى الموبقات.. غير أني كنت دائمَ الشكوى، وكان في عينيَّ حَوَلٌ بهما أرى الذي ينقُصني وأعمى عن الذي يغمُرني، كان حمدي لله لفظيًّا ووعظيًّا، ولم يكن البتَّة قلبيًّا ولا يقينيًّا.

فكنتُ دائم الشكوى من الجزائر، ومن البيئة، ومن الواقع، ومن الوقت، ومن المرض، ومن الزوجة، ومن الابن.. لا يتوقَّف وابلُ الشكوى عندي أبدًا.. ولا أرى في كل ذلك إلاَّ ما يخالف حُلمي الورديَّ القديم، فلا شيء منه حقَّق لي ما تمنيت.

نسيتُ "المنعِم" في قرارة نفسي حتى وإن كنتُ قد ذكرته باللسان؛ وأحيانًا حين الصلاة وحين الصوم أذكره لزمن قصير، ثم لا ألبث أن أنساه.

نعم، نسيتُه، فلم أعرفه حقَّ المعرفة، ولم أقدره حق القدْر.. نسيتُه فلم أقابله بالشكر لكن بالضَّجر.

نسيتُه، صدقًا أقولُها وليس هذا أوان التعللات والأوهام: "فالكذب مهلكةٌ، والصدق منجاةٌ".

...

نسيته يا للهول.. نسيته يا للخسارة.. نسيته يا للندم.

نسيتُه حتى نزلتْ بداري، وبدارك، نازلةٌ (الكورونا)؛ فغلَّقت أبوابَ بيتي، وجلستُ إلى جوار زوجي، وأطلت المكث مع بني وبنيتي.

وتفقدت السميد والزيت، والشاي والسكر في مخابئ منزلي.

ووجدتُ الوقتَ الكافي الشافيَ للنظر إلى ما حولي ومن حولي؛ أحصيتُ النعم التي تغمرني فألفيتها لا تحصى.

لا أخفي سرًّا إن قلت لك حِبّي: "تحوَّل مركز الاهتمام عندي من "النعمة" إلى "المنعم"؛ فلهجت إليه بالدعاء، وجأرت إليه بالنداء.

شكرتُه حمدته، ثم بكيت بكاءً لذيذًا، وسهرتُ سهرًا مديدًا".

وأنا الحين -وأنا في حجري الصحي- أتفكَّر وأعمِل قلبي في جلال رحموته سبحانه، ثم أستنجد بعقلي في جمال رحمانيته جل جلاله.

وإني والله قد علمتُ من كتابه الحكيم، وكلام رسوله الكريم، أنَّ كثرة الإنعام ليست في ذاتها قذارةً، وأنَّ عمارة الدنيا أمرٌ من أوامر ربّي.

علمتُ أنَّ الاقتصار على "النعمة" والغفلة عن "المنعم" هي الحاقةُ، وهي الطامَّة، وهي الصاخَّة.

ثم قرَّرتُ أن أخرج من صمتي، وأفشي سري.. لأنه سرُّ كلّ إنسان ناطقٍ عَقُول.. وهو سرُّ كلّ مسلم قؤول ثم فَعول.

...

برهةً -وإلى جواري مشغّل التلاوة- فتحت التطبيق في قارئ أحببته، هو عبد الرشيد صوفي، واخترت منه "سورة عبس"، برواية السوسي عن أبي عمرو.. ثم هزني قوله سبحان وتعالى:

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾(عبس:١٧-٢٤).

إلى هنا انقطعتُ عن عالم الوعي واليقظة، إلى عالم المنام والأحلام.

إلى هنا حان وقتُ البسط والنشر، وارتفع الحجر العلميُّ عن مقالي، إلى حين يرتفع الحجر الصحي عنا جميعًا، وعني.

وكلّي أملٌ أن لا يفضح سرَّنا ربُّ الظِّراب والآكام، وأن يتلقانا إلهنا جل جلاله يوم القيامة، بالتحية والسلام، وتحية أهل الجنة السلام. ■

(*) مدير معهد المناهج، الجزائر العاصمة / الجزائر.

hiragate.com

العربي السيد عمران*

في انتظار الحياة

قالـوا: تهيّأ للـوفاهْ ... مـا مـن سبيلٍ للنجاهْ
لم يبقَ يا ولدي سوى ... نـفـسٍ يُـقـدّرُهُ الإلــهْ
فعَلامَ ثـغـرُك باسـمٌ ... والوجهُ لا يـخْبُو ضياهْ؟
تعْلــو بـرأسِكَ؛ عِزةً ... وتحسُّ جاهَـكَ أيَّ جـاهْ
بالآي تصبـحُ شـاديًا ... وتذوبُ عشقًا في الصلاهْ
عيناكَ حُلـمُـك شدّها ... والحلمُ عزمُك قـد رواهْ
وخطاكَ تسْـعى بالهُـدَى ... نحـو السـبيل لمنتهاهْ
وتعيـشُ آمـالَ الشـفا ... ءِ ورُبَّ مَن في اليأس تاهْ
والـروحُ فاضتْ بالرضا ... والحمدُ يبْرقُ في الشفاهْ
عجبًا لحالكَ يا فـتى ... ما زلت تحلم بالفتاهْ؟!
فأجبـتُـهم: أنـا في انتظا ... رِ المـوتِ تـملؤُنِي الحياهْ!

(*) شاعر وأديب مصري.

قطوف
فتح الله كولن

الامتحانات واللطف الإلهي

يقول القدماء: "بقدر الكدّ تُكتسب المعالي"؛ أي إن جميع النجاحات -المادية والمعنوية- تكون متناسبة مع المشقات المبذولة في سبيلها. فمن يدري مقدار الألم والمعاناة التي تتحملها البَذرة تحت التربة حتى إبراز رأسها كنبتة فوق التراب، إذ تنشق وتتحمل آلام اختراق التربة وتستعدّ لاستقبال أشعة الشمس وتتهيأ لها، فكل هذه الجهود والآلام هي آلام الولادة والنضال في سبيل الوجود والانبعاث، لذا فهي مهمة للغاية.

كلما انهمرت علينا نعم الله تعالى وأفضاله، زادَ ثِقَلُ مهمتنا واشتدت الامتحانات، وعلينا أن ندرك تمامًا أن هذه المرتبة العالية التي خصّنا بها الله تعالى بكرمه، لا تعود لفضيلة أو قابلية شخصية فينا أبدًا، وإنما يجب أن ننظر إليها كَلُطْفٍ إلهي ونقيّمها على ذلك. إن صور الجمال والخير تمرّ بنا دائمًا، وعندما تمرّ تقوم بطَرْقِ أبوابنا؛ لأننا في حاجة إليها أكثر من الآخرين ولا نستطيع أن نكون مظهرًا لهذا الجمال بأشخاصنا، وكلّ هذه الجماليات تنعكس علينا كانعكاس أشعة الشمس على قطرات المياه.

حبُّ المال من صور الامتحان

حبُّ المال والمنفعة المادية من صور الامتحان في حياة الجماعة، والنزاعاتُ والخصومات الموجودة بين السياسيين تنبع من هذه الناحية ومن هذه الأفكار

السلبية والمخرّبة التي تستند إلى النـزاع حول المنافـع المادية؛ ذلك لأن هناك أعينًا كثيرة ترنو إلى مناصب معينة، وهناك أصحاب أهواء وشهوات لا يعرفـون الشـبـع يلهثـون وراء منافعهـم ومصالحهـم الشـخصية؛ الأمـر الـذي يـؤدي إلـى أن تنقلبَ الوحدة إلى اختـلاف، والاتحاد والتعاون إلى تفرقـة وخصـام، بينما يجب أن تؤدَّى جميـع الأعمال وجميـع التضحيات لوجـه الله تعالـى دون انتظـار جزاءٍ أو شـكورٍ من أحـد، ولو تم هذا لاجتاز الكثيرون امتحان المنافـع المادية المؤدية إلى الشقاق والخصام.

هل تعرّض الصحابة إلى امتحان بعضهم ببعض؟

يسـأل السـائل عما إذا تعرّض الصحابة الكرام إلى امتحان بعضهم ببعض، لذا فلنقِفْ هنا قليلاً ونقول:

مـا كان مـن الممكن إعفاءُ الصحابة من مثل هذا الامتحان؛ ذلك لأنهم نالوا أعلى المراتب في الحياة المعنوية، فكان لزامًا عليهم أن يتعرضوا إلى أصعب امتحان، ولا سيما أن الاجتهادات التي ظهرت فيما بعد حول إدارة الدولـة قـد صعّبـت مـن تلك الامتحانـات وجعلتها أشـد وطـأة. ولكن مـع ثقـل الامتحـان، لـم ينحرف صحابي عن التمـاس طريق الحق، وعندما تبين لبعضهم أنهم لم يكونوا على الحق، أغمدوا سيوفهم في ظرفٍ لم يكن من السهل إغمادها.

لقـد أدركـت أمُّنـا عائشـة رضـي الله عنها خطأهـا عندما وقفت أمـام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وتذكّرت أن رسول الله ﷺ أشار بشكل ضمني إلى هذا الأمر قبل انتقاله، فركبت دابّتها ورجعت وهي نادمة أشد الندم. (صحيح ابن حبان).

كان الزبيـر بـن العـوام ﷺ رجـلاً شـجاعًا وشـهمًا، فلقـد أَسْـلَم وهـو ابن ثمان سـنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشـرة سـنة، وكان عمّه يعلّقه في حصيرٍ، ويدخّن عليه بالنار، ويقول: ارجـعْ إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا" (رواه الطبراني)، فـكان ﷺ يقـول: "إن لكل نبي حواريًّـا وإن حواريّ الزبير بن العوام" (رواه البخاري)، ملفتًا الأنظارَ إلى شجاعته. ■

(*) "الاستقامة في العمل والدعوة"، محمد فتح الله كولن، سلسلة أسئلة العصر المحيّرة (٣)، ترجمة: أورخان محمد علي، د. عبد الله محمد عنتر، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٥. وعنوان المقال من تصرف المحرر.

د. ناصر أحمد سنه*

خواطر حضارية

١

التحضر وضع كسبي يستحدثه الإنسان بإرادته الحرة وفق عوامل ذاتية وموضوعية تفضي إليه. وهو جهد جماعي مدفوع بتصور حقيقة الوجود وموجهًا بالغاية من الحياة. فهو في مبدئه واطراده محكوم بتلك الغاية وقائم من أجل تحقيقها. ومن ثم فإن قومًا لا يملك تصورًا بيّنًا لحقيقة الوجود، ولا تصورًا واضحًا لغاية الحياة، لا تنمو حياته إلى وضع من التحضر، بل يبقى على حال من البداوة أو ما هو شبيه بحال البداوة.

أي تغيـير ناجـح في عالم الشـهادة لإحداث التحضر أو اسـتعادته، لا بد أن يبدأ من تغيير ما بالأنفس، ويتحقق هذا عبر المنظومة الإيمانية التي تنبثق عن شرعة الإسلام وعقيدة الإيمان بالله وتوحيده.

الحضارة والثقافة أية علاقة؟

قال بعضهم إن الحضارة Civilization والثقافة Culture مصطلحان يحملان معنىً واحدًا كما قال بذلك "تايلور" عالِم الأنثروبولوجيا البريطاني، وذهب البعض الآخر إلى أن المصطلحين يختلفان عن بعضهما ولكل منهما معنى محدد؛ حيث بينوا أن الحضارة تقتصر على التقدم المادي للمجتمع، في حين تقتصر الثقافة على أفكار وعقائد الإنسان. وتحدّث "تزفيتيان تودوروف" عن أنهما مستقلتان في مفهوميهما لكن غير متعارضتين، فوجود الثقافة شرطٌ أساس لتكوّن الحضارة. ويرى المفكر "حسين مؤنس" أن الثقافة هي ما تُميّز كل بلد عن آخر، فهم -مثلاً- يجتمعون في العلم، وهذه العلوم لا تختلف من بلد إلى آخر؛ فالطب في فرنسا هو نفسه في إنجلترا، فصميم العلوم وقواعده واحدة، ولا تختلف من بلد إلى آخر رغم اختلاف اللغة بينهم.. أما إذا نظر الإنسان إلى ناحية أخرى، فسنجد الأدب في بلد يختلف من ناحية الموضوعات واللغة المُستعمَلَة من الأدب في دولة أخرى، فالأدب يختلف باختلاف البلد والأديب نفسه وذوق البلد وأهله.. وهكذا الحضارة والثقافة هي الأمر نفسه؛ ذلك أن العلوم تعبّر عن الحضارة وليس عن الثقافة، أما الأدب الذي يختص به بلدٌ عن آخر ويختلف من شعب لآخر، فهو الذي يحدّد ثقافة بلد معين أو أمة معينة من الأمم.

عوامل قيام وسقوط الحضارات

إن حركة الوجود تخضع لسنن ونواميس إلهية، ولقد عالج القرآن الكريم إشكالية السنن التي تحكم حركة الوجود حفظًا له من الفوضى والفساد. ولما كان عمران الأرض مقصدًا من مقاصد الرسالات السماوية، كانت سنن المداولة والمدافعة والاستبدال والاستدراج وغيرها من السنن الحضارية، هي الحاكمة على الواقع. ومن ثم فإن السيرورة الحضارية للأفراد والأمم، محكومة بهذه السنن الشاملة والثابتة والقوانين المضطردة، وهي سنن محايدة، وهذه السنن المحايدة تعتبر سننًا جزئية تعطي كل من يوظفها على قدر سعيه في تسخيرها والتعامل معها. غير أن هناك سننًا كلية هي السنن التي جعلها الله

hiragate.com

مفتاحًا لقيام الحضارات بمفهومها الشامل كسنَّة الإيمان.

وما ينبغي ملاحظته، أنه لا غنى للسنن الجزئية عن السنن الكلية، ولا غنى للسنن الكلية عن الجزئية. فحضارة تؤمن بالله ولكنها لا تكتشف سنن الآفاق والأنفس، هي حضارة عاطلة؛ وحضارة تستنطق السنن الجزئية يومًا بعد يوم، هي حضارة تائهة ضارة لنفسها نافعة لغيرها عند اكتشافها لسنن الرقي المادي، وهذا يعني أن لهذه الدنيا مقاييسها التي تجري على الجميع. وفي كل أمر جعل الله له في هذا الكون الحسي -عالم الشهادة- سنة يجري عليها، والإنسان مهما تكن عقيدته ومهما تكن نيته وباعثه، يمكن أن يستثمر هذا الكون ويستفيد من هذه السنن. ويعتبر التحضُّر مظهرًا للسلوك الجمعي، فالحضارة ظاهرة إنسانية إرادية قيامًا وانحدارًا، وتدخل هذه الظاهرة ضمن دائرة محكومة بقانون الأسباب الإرادية؛ فإذا شاء الإنسان أن يتحضر فإنه يتحضر، وإذا شاء أن ينحدر فإنه ينحدر، تلك مسؤوليته التكليفية في نطاق القدر الإلهي العام الذي يدور فيه الوجود كله.

ومن يلاحظ عوامل قيام وسقوط الأمم والحضارات، يجدها تكمن في صميم الموقف البشري، مع الأخذ بعين الاعتبار العلاقات المادية. فأي تغيير ناجح في عالم الشهادة لإحداث التحضر أو استعادته، لا بد أن يبدأ من تغيير ما بالأنفس، ويتحقق هذا عبر المنظومة الإيمانية التي تنبثق عن شرعة الإسلام وعقيدة الإيمان بالله وتوحيده.

فالدين طاقة دائمة، وحافزية متجددة، وقابلية انبعاثه أمر واقع لا مراء فيه، من هنا كان الدين يمثل أكبر مُقَدَّرات التجييش، وأَنفس ذخائر التحشيد التي يمكن أن يرصدها الإنسان للرهانات الحضارية الكبرى، والتحديات المجتمعية المصيرية. ودين الإسلام بما هو مكوِّن تعبدي وسلوكي يومي، بات هو مَحْضن القيم ومستزرعها، والنسيج العضوي الذي تنمو فيه وتتشكل، وتأخذ صورها وألوانها. وأمور الإيمان به التي تقوم عليها الحضارة، فيها من جانب القوى التي تحلّي الإنسان بالأخلاق الجميلة والملكات الحميدة وتعمل على تنميتها والمحافظة عليها، وفيها من جانب آخر جميع القوى التي تحرضه على الرقي والتقدُّم في الدنيا وتؤهله لاستثمار أسباب الدنيا ووسائلها، وهي إلى هذا، تنشئ فيه الأخلاق الفاضلة التي لا بد منها لإحراز الرقي والتقدم الحقيقي، وفيها أكمل قدرة على أن تنظم قوى الإنسان العملية، وتحركها بنظام وتصونها من عوامل السقوط.

الأخلاق والأمراض الحضارية

يقوم الصالحون المصلحون عند النهوض والإقلاع الحضاري، بنشر صلاحهم ليشمل مجتمعاتهم. فكونهم صالحين هذا شأن خاص بهم، أما أن يكونوا صالحين مُصلحين فهذه رسالتهم لتجنب الهلاك. ومن رسالتهم الأخلاقية الحضارية، التأكيد على أن البر بالأوطان امتداد للبر بالوالدين، والتوعية المستنيرة بخريطة الفروض الحضارية، وتنمية التأهب لفروض الكفاية كما الحال سواء بسواء عند القيام بفروض العين. والعمل على تكريس ازدواج قيم العلم والدراية، والحفظ والأمانة، عند تولي أمور الحياة العامة، مع استمرار المحاولات الدؤوبة، والفكر الأواب كثير الرجوع إلى الحق والصواب.. ففي النظم الحضارية تحتل قضية الفكر الأواب مركز الثقل اعترافًا بالقصور الإنساني وعدم الإحاطة بكل شيء، وتبقي القيمة، والمكانة ليست بقيمة ممتلكات الناس ومظاهرهم، بل بقيمة أعمالهم وجوهرهم ومحاولاتهم الدؤوبة وفكرهم الأواب.

ذلك لأنه إن لم يتم تشخيص أسباب العلة وتوفير سبل العلاج، ستبقي كل الأدواء موجودة، بل مُستفحلة. إنها سنن الفطرة، وأسس الطب والمداواة، ومدار العلاقات الأسرية والاجتماعية والحضارية.. وإن تشخيص العلة الجيد، يتبعه علاج جيد، وما لم تعالج أسباب المرض، سيبقي الداء مستشريًا وعُضالاً. ينطبق هذا على أدواء المخلوقات، وأمراض المجتمعات، ولعل أمراض المجتمعات أشد خطرًا لعموميتها وضراوة خطرها، من أمراض أفرادها، لأنها تأخذ وقتًا لعلاجها وكُلفة لالتئامها.. ومن ذلك أن الله ﷻ وضع لكل غريزة فطرية مثل الرغبة في الطعام والشراب والتناسل والمال.. في

hiragate.com

نفس الإنسان وظيفةً محددةً، بغية بناء الجسم والانتشار والتكاثر وعمارة الأرض، والإنفاق في سبيل الله تعالى.. فمن فصل الغرائز البشرية عن وظائفها الفطرية، وطلبها لذاتها منفصلة عن غاياتها المنشودة، فقد تعدى على أمور الفطرة وميزان الحياة، مما يؤدي إلى ارتكاسات فردية ومجتمعية وحضارية خطيرة. يؤدي كذلك إلى ضعف بذل الجهد الجماعي لإنجاز الترقي المادي والمعنوي، وإلى إشكالية عرقلة التوجه المجتمعي نحو التعاون والتحاور والتعايش الداخلي والخارجي. لقد بات من المتعارف عليه، أن الكلمة يرد عليها بالكلمة، والفكر يحاجج بالفكر.. لكن العيب كل العيب والفشل كل الفشل، أن يرد على كلمة اللسان بالسنان، أو أن يواجه الفكر بالقهر، تلك سنة ماضية يقاس عليها في عالم الأفكار والأفراد والمجتمعات والثقافات والحضارات. ولقد نحت المفكر الجزائري الكبير "مالك بن نبي" مصطلح "القابلية للاستعمار"، إشارة لتوافر أمور من شأنها تيسير استعمار الشعوب، بيد أن الاستعلاء النفسي المنبثق عن الثقة بالله تعالى، ثم المستمد من الإيمان بعظمة القيم الحضارية النابعة من الإسلام، ستقاوم تلكم الظاهرة (القابلية للاستعمار).

جناحا الإقلاع الحضاري

للإقلاع الحضاري جناحان لا غنى عنهما؛ جناح المعاني والأفكار والبشر، وجناح الماديات والحرف والحجر. فمن استثمر في الحجر فقد أضاع البشر، ولن ينهض من كبوته وتخلفه عن الركب، ومن نهض بالبشر دون الحرف والحجر فقد بات مكتوفًا، لا يجد ما يسد رمقه، ولا ما يستر جسده، ولا يداوي علته.. ولقد كانت تجربتنا الحضارية السابقة، -والمأمول استعادة انطلاقها- لم تحدث إلا في إطار مفهوم "الأمة"، وهو مفهوم قرآني إسلامي، متجاوز لمفاهيم أخرى كالقبلية والعشائرية والقومية والأيديولوجية. لذا ستنهض الأمة من كبوتها، وتفيق من غفوتها، وتتجاوز تأخرها، وتداوي علتها عندما تستثمر في إنسانها وتماسك مجتمعاتها، كما تحافظ على مواردها وثرواتها، وتصون عقيدتها وقيمها، وتشحذ فكرها وتستلهم تاريخها، وتنهض بعمرانها وعمارتها، وإصلاح تعليمها وتنمية وعيها، وتعالج أمراضها ومثالبها، وتضبط بوصلتها نحو أهدافها العليا، وتستشرف -بعلم وعمل وعزم وصبر- مستقبلها، وتستعيد ريادتها، وتنشر رسالتها، وتحقق خيريتها.. ولا يظن ظانٌّ أن التغيير المجتمعي الحضاري يسير في نهج خطي مستقيم، بل إنه فعل دائري تراكمي.

ولعل ما لحق بنسقنا الحضاري الشامل، إنما هو انعكاس للحال التي وصل إليها إنسان الحضارة الإسلامية أفرادًا ومجتمعات ودولاً. بيد أن عوامل الإقلاع الحضاري متوافرة للنهوض من جديد متى ما تم الاستعانة بها. والحضارة لا تتجدد ولا تعاود النهوض مرة أخرى، إلا في إطار منطلقها الأول وخصائصها الذاتية واستحضار ماضيها وربطه بحاضرها؛ لأنه من المحال الانسلاخ عن منجزات التاريخ. ولن تستطيع تدمير أمة علمت وعرفت ووعت تاريخها.. فهو وقودها لصنع حاضرها واستشراف مستقبلها.

بعد طول بحث وتفكر من خلاصة ما توصل إليه الفلاسفة وأصحاب الماورائيات، أنه بدون "وحي سماوي" سيظل العقل البشري في حيرة واضطراب وذهول وبعد عن اليقين والسعادة، وما قيمة الدين إن لم تُنظم وتهيمن شرائعه وشعائره على الحياة والدين هو الحياة، كما أنه لا عقل ولا علم إلا بصلاح الدارس والمُدرس، والعالم والمتعلم، والمنهج والمنهجية، ومن قبل وبعد الرؤية والإستراتيجية. كذلك علينا تقبل تنوع مشارب من نعيش معهم، حتى يتحول تنوعنا إلى تنوع مثمر لا إلى تصادم مدمر. فكل ذلك وغيره، يقوم على تهذيب الملكات، وقيام الحضارات، وإرشاد النفوس، وإشراق الشموس، والهداية إلى صراط مستقيم، وانعقاد ميزان العدل والحق. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

أ.د. بسمة سيف*

أطلانطس الرمال المفقودة

١

القرن الماضي كان حافلاً بالاكتشافات الأثرية لمدن عربية ظلت مجهولة وغلفتها الأساطير لآلاف السنين؛ ففي بداية عام ١٩٩٠م امتلأت الجرائد العالمية الكبرى بتقارير صحفية تعلن عن "اكتشاف مدينة عربية خرافية مفقودة" و"اكتشاف مدينة عربية أسطورية" و"أسطورة الرمال (عُبار)" التي جاء ذكرها في

القرآن باسم "إرَم ذات العماد". ثم في ١٥ أكتوبر ٢٠١٥م أعلن علماء آثار من أمريكا، عن عثورهم على بقايا بلدة ترجع للعصر البرونزي شرق نهر الأردن ، ويعود تاريخها إلى ما بين ٣٥٠٠ و١٥٤٠ سنة قبل الميلاد. وكانت مدينة "سدوم" لقوم لوط، الأمر الذي جعل الاكتشافَين مثيرين للاهتمام، فهما المدينتان اللتان ذكرهما القرآن الكريم تفصيلاً بأوصافهما عندما تم اكتشافهما.

منذ ذلك الحين والعديد من الناس الذين كانوا يعتقدون أن "عادًا" التي ذكرها القرآن الكريم "مجرد أسطورة" ولا يمكن اكتشاف مكانها، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم أمام ذلك الاكتشاف. فاكتشاف تلك المدينة التي لم تُذكر إلا على ألسنة البدو، أثار اهتمامًا وفضولاً كبيرًا لدى "نيكولاس كلاب" المنتج السينمائي الأمريكي وعالم الآثار الهاوي، الذي اكتشف تلك المدينة الأسطورية، ولأنه مغرم بكل ما هو عربي، مع كونه منتجًا للأفلام الوثائقية الساحرة، فقد عثر على كتاب مثير جدًّا في أثناء بحثه حول التاريخ العربي، كان عنوان ذلك الكتاب "أرابيا فيليكس" لمؤلفه "بيرترام توماس" الباحث الإنجليزي الذي ألفه عام ١٩٣٢م.

و"أرابيا فيليكس" هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، الذي يضم اليمن والجزء الأكبر من عمان. وقد أطلق اليونان على تلك المنطقة اسم "العرب السعيد"، وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطى اسم "اليمن السعيد". وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة، كانوا أكثر من في عصرهم حظًّا، بسبب موقعهم الإستراتيجي من ناحية، حيث إنهم اعتُبروا وسطاء في تجارة التوابل بين بلاد الهند وبلاد شمال شبه الجزيرة العربية، ومن الناحية الأخرى فإن سكان تلك المنطقة اشتهروا بإنتاج "اللبان" وهو مادة صمغية عطرية تستخرج من نوع نادر من الأشجار. وكان ذلك النبات لا يقل قيمة عن الذهب، حيث كانت المجتمعات القديمة تُقبل عليه كثيرًا.

وأسهب الباحث الإنجليزي "توماس" في وصف تلك القبائل "السعيدة الحظ"، ورغم أنه اكتشف آثارًا

إن العديد من الناس الذين كانوا يعتقدون أن "عادًا" مجرد أسطورة ولا يمكن اكتشاف مكانها، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم عند اكتشافها، حيث أثار هذا الحدق اهتمامًا وفضولاً كبيرًا.

لمدينة قديمة أسستها واحدة من تلك القبائل، كانت تلك المدينة هي التي يطلق عليها البدو اسم "عُبار". وفي إحدى رحلاته إلى تلك المنطقة، أراه سكان المنطقة من البدو آثارًا شديدة القدم، وقالوا إن تلك الآثار تؤدي إلى مدينة "عُبار" القديمة.

ومنذ ذلك الوقت حاول فريق من رجال الآثار البريطانيين والأمريكيين -بالاشتراك مع باحثين عُمانيين يقودهم "رانولف فاينز"- الكشف عن بقايا مدينة "إرم" في صحراء الربع الخالي الواقع بين اليمن وجنوب سلطنة عمان، استنادًا إلى الصور التي التقطها رادار وضع على المكوك الفضائي الأمريكي "تشالنجر" يصاحبه قمر صناعي لرسم الخرائط. وأظهرت الصور وجود نبع قديم للماء جف منذ مئات السنين.. فقرر "فاينز" الحفر في الموقع الذي حددته الصور، وأزاح الرمال عن بعض البقايا العمرانية وفيها أسوار وأبراج. وأعلن الأثريون أن الموقع الذي كشفوا عنه يمثل المدينة البائدة، التي عرفت في المصادر الكلاسيكية باسم "وبار" أو "أوبار" أو"عُبار" أو "إرم". كما عثر على جدران عريضة وقواعد لأبراج للحراسة، ووجدت عدة أعمدة في هذه المدينة، وتَبين أن المنطقة التي كشف عنها تربض على جرف كلسي فوق بحيرة من المياه الجوفية. ومنذ اللحظة التي بدأت فيها بقايا المدينة في الظهور، كان من الواضح أن تلك المدينة المحطمة تنتمي لقوم "عاد" ولعماد مدينة "إرَم"، حيث إن الأعمدة الضخمة التي أشار إليها القرآن بوجه خاص، كانت من ضمن الأبنية التي كشفت عنها الرمال.

قال الدكتور "زارينز" وهو أحد أعضاء فريق البحث

hiragate.com

وقائد عملية الحفر، إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة لمدينة "عُبار"، وحيث إن مدينة "إرَم" وُصفت في القرآن بأنها ذات العماد أي الأعمدة الضخمة؛ فإن ذلك يعد خير دليل على أن المدينة التي اكتُشفت هي مدينة "إرَم"، وتقع في القسم الجنوبي لشبه الجزيرة العربية.

أطلانتس الرمال المفقودة

لقد جرت عدة محاولات على مدى التاريخ للكشف عنها، أشهرها محاولة المستكشف البريطاني الشهير "فيلكس" بين عامي ١٩٢٧-١٩٣٠م، غير أن هذه المحاولة فشلت كغيرها، مما دعا لورنس العرب إلى وصفها بـ"أطلانطس الرمال المفقودة" نسبة إلى قارة أطلانطس المفقودة في المحيط الأطلسي.

في عام ١٩٨١م تصادف وجود المنتج السينمائي الأمريكي "نيكولاس كلاب" في سلطنة عمان، حين سمع عن مدينة أوبار المدفونة لأول مرة. وحين عاد لأمريكا لم يكف عن التفكير في هذه المدينة، فانكب على دراسة كل ما ألف عنها وعن رحلات الاستكشاف التي فشلت في العثور عليها.. وذات يوم قرأ في مجلة "ساينس" العلوم الأمريكية، أن الأقمار الصناعية استطاعت تصوير مجاري أنهار مدفونة تحت رمال الربع الخالي، فتساءل إنْ كانت الأقمار الصناعية قادرة على رؤية مجاري الأنهار تحت الرمال أليس بإمكانها اكتشاف طرق القوافل القديمة التي تمر بمدينة أوبار؟ ومن المعروف أن المدينة كانت ممرًّا للقوافل ومركزًا لتجارة البخور، وكانت تتعامل تجاريًّا مع الشام وفارس وروما.

وعلى الفور اتصل "نيكولاس" بكاتب المقال الذي أبدى استعداده لمخاطبة وكالة ناسا الفضائية وتزويده بالصور اللازمة، وهكذا تم الاتفاق على أخذ صور لأعماق الربع الخالي في المنطقة التي حددها "نيكولاس" لكشف ما أسماه "طريق القوافل الرئيسي" المار بأوبار. وفي أكتوبر عام ١٩٨٤م التقط مكوك الفضاء "تشالنجر" صورًا رادارية أثبتت -مع صور أخذت من القمر راندسات- وجود ذلك الطريق، غير أن تشكيل فريق البحث وإيجاد التمويل اللازم، لم يتيحا لنيكولاس بدء حملة الاستكشاف إلا في يوليو ١٩٩٠م. ومن مدينة صلالة انطلقت قافلة من عربات "جيبات لاند روفر" لأعماق الصحراء في خط افترض نيكولاس أنه سوف يمر "فوق" طريق القوافل المدفون تحت الرمال، غير أن مهمتهم فشلت ولم يعودوا إلا بقطع خزفية أثبتت رغم الإحباط الذي أصابهم، وجود حضارة قديمة ازدهرت في تلك المنطقة. بعد عودته إلى الولايات المتحدة اكتشف "نيك" أنهم ساروا في الاتجاه الخاطئ.

في نوفمبر ١٩٩١م ، عاد مجددًا إلى عُمان مسلّحًا هذه المرة بصور أكثر دقة، وفريق بحث من جامعة ميسوري، فضلاً عن الإمكانات الهائلة التي قدمتها الحكومة العمانية. وفي منطقة لا تبعد كثيرًا عن واحة سيشر، بدأ عمال الحفر يكتشفون بيوتًا وطرقات ونظام ري في أعماق الرمال.. وكان أفضل ما اكتشفوه سلسلة من الأبراج كانت معدة لحماية الممتلكات الثمينة، وحلي، وأوان زجاجية من روما وفارس والهند، كدليل على تلاقي الحضارات في هذه المنطقة. في الرابع من فبراير١٩٩٢م، عقد نيكولاس مؤتمرًا ضخمًا، وأعلن فيه اكتشاف "أطلانطس الرمال المفقودة" بعد سلسلة من المحاولات التاريخية الفاشلة.

المدينة الملعونة

لقد حاول عشرات الرسامين أن يتخيلوا عبر القرون ما حل بسدوم تلك المدينة الملعونة من خراب نادر، من خلال الكتب السماوية، ولكن منذ فترة وجيزة انشغل علماء الآثار بخبر العثور على ما يميلون إلى أنه بقايا مدينة "سدوم" المعروفة إسلاميًّا بمدينة "قوم لوط"، والتي تُجْمِع الكتب السماوية -وأهمها القرآن- على ما حدث لها بواقعية علمية، من أن قَصاصًا إلهيًّا جعلها وأهلها كأنها لم تكن، ولم ينج منه سوى النبي لوط وعائلته باستثناء زوجته، وفق ما روى القرآن فصوله بسلسلة آيات.

لقد عثرت بعثة آثار أمريكية ثابرت على التنقيب عشر سنوات في منطقة "تل الحمام" بالأردن، على "الآية" التي طال غيابها، وهي خرائب "سدوم" التي بدأ يتضح أن الحياة "توقفت فيها فجأة" طبقًا لما ذكره

hiragate.com

البروفيسور "ستيفن كوللينز" (Steven Collins).

"إلا أن كل مظاهر الحياة توقفت فجأة"، هذا الكلام قاله "كوللينز" لأول من نشر خبر العثور على آثار سدوم بالجنوب الأردني في دورية "Popular Archaeology" التي أعدت تحقيقًا معززًا بصور وبيانات، ومنه وصل الخبر الى وسائل إعلام عالمية ما زالت تتطرق للآن إلى مستجدات ما تم العثور عليه، ووصفه رئيس البعثة بأنه "مبان قديمة وأدوات من مدينة كبيرة جدًّا كانت في العصر البرونزي، وكانت دولة ضخمة سيطرت على كل منطقة جنوب غور الأردن".

في منطقة تل الحمام في الجنوب الأردني، كانت سدوم التي حل فيها الخراب فجأة، تلك المدينة/الدولة التي ذكرت التوراة في "سفر التكوين" بأن الله عاقبها بالنار والكبريت. "لم تتهدم بكاملها بحسب ما كان متوقعا" وفق ما أكده "كوللينز" الذي اعتبر أن ما تم العثور عليه، أشبه "بكنز حقيقي في كل ما يخص علم الآثار من ناحية نشوء وإدارة مدن/دولة بين ١٥٤٠ إلى ٣٥٠٠ قبل الميلاد"، مضيفًا أن المعلومات عن الحياة في منطقة غور الأردن بالعصر البرونزي، لم تكن متوفرة قبل تنقيبات البعثة الأمريكية، ولا وجود حتى لإشارة في معظم الخرائط الأثرية عنها بأن مدينة قديمة كانت فيها.

وشرح أن ما تم العثور عليه هو مدينة بقسمين، علوي وسفلي، وفيها ظهر جدار من الطوب الطيني، بارتفاع ١٠ وعرض ٥,٢ أمتار. كما ظهرت بقايا بوابات لمعبد، ومثلها لأبراج مع ساحة رئيسة، إضافة إلى موقع يبدو أنه كان مميزًا، لأنه كان مدعّم بحمايات خاصة، وكلها منشآت تطلبت أحجارًا من الطوب بالملايين، إضافة إلى عدد كبير من العمال، "إلا أن كل مظاهر الحياة توقفت فجأة بنهاية منتصف العصر البرونزي" وهو لغز يرسم الحل عبر التنقيبات للتعرف إلى ما حدث في "سدوم"، وأشار إليه القرآن بما يختلف عن التدمير بنار وكبريت، وكأن كويكبا ارتطم بالمدينة وجعل أسفلها أعلاها، ونجا منه النبي لوط عليه السلام.

الشائع عن النبي لوط عليه السلام أنه ابن أخي النبي إبراهيم عليه السلام، وكانا يسكنان بمنطقة واحدة هي "بيت إيل" القريبة حاليًا من رام الله بالضفة الغربية بالأردن، على حد ما يمكن استنتاجه مما قرأت في شرح لما ورد بشأنه في التوراة، ثم انفصل كلٌّ بأهله وماشيته، وراح لوط عليه السلام يبحث شرقًا عن منطقة ريّانة خضراء تتوافر فيها المياه والمراعي، فوجدها قرب مدينتي "سدوم وعمورة" المروية أراضيهما الخصبة بمياه نهر الأردن، فحط رحاله هناك واختار "سدوم" للسكن.. وعنها يذكر القرآن وحده ما اكتشفه "كوللينز" بعد ١٤ قرنًا، وهو أن "سدوم" كانت عليا وسفلى، طبقًا لما ورد في الآية ٨٢ من "سورة هود" من القرآن الكريم.

سريعًا وجد لوط عليه السلام "السدوميين" متهافتين على الفواحش، فقرر إصلاحهم بدعوتهم إلى الله ﷻ ونهيهم عما يرتكبون، إلا أنهم صدوه فراح لوط يستغيث، فأرسل الله إليه ملائكة فطمأنوه وأخبروه بما سيفعلون: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾(العنكبوت:٣١)، وشرحوا: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(العنكبوت:٣٤)، ثم بدأ القصاص الموعود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾(هود:٨٢)، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾(الحجر:٧٣)، وتحقق الوعد: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(الأعراف:٨٣)، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(العنكبوت:٣٥).

وما يتضح من الصور حتى الآن -وهي كثيرة- الأواني الفخارية وغيرها، يثبت أن تدمير "سدوم" لم يكن "بنار وكبريت" وفق رواية التوراة، وإلا لظهرت آثار الحرائق على ما تم العثور عليه، ولا يبقي كحل للغز إلا ما ورد بالآية ٣٤ من سورة العنكبوت، عما يمكن أن يكون كويكبا سقط عليها "رجسا من السماء" في إشارة إلى الفضاء، فانشطر إلى أحجار تساقطت عليها بالآلاف كالمطر، وجعل عاليها سافلها، وطواها تراب الحطام أكثر من ٣٥ قرنًا من الزمان. ■

(*) عميدة كلية التربية بجامعة الإسكندرية سابقا / مصر.

hiragate.com

حمزة بومليك*

كورونا من الأنا إلى نحن

١ الوبـاء بشـكل عـام، مـا هو إلا امتحـان لمعرفة مـدى مناعتنا وقدرتنـا علـى تجـاوز المحـن، والمحنـة هنا تتجـاوز كل ما هـو مـادي إلى ما هو نفسـي، لأن توهم فكرة المرض أخطر مـن عيـش تجربة المرض بكثير. وهو نداء مجهول يدعونا إلى عقد الصلح مـع الآخر؛ أن أحيا في العالم لا يعنى ذلك أنني سـأحيا بدون الآخر، وإلا مـا الـذي يجعلني أستشـعر قيمتي.. والأكيد أنني بـدون هذا الغير لا يمكنني معرفـة مـن أنـا، أي أن وجـودي ليـس وجـودًا ماديًّا وحسـب، بـل هو وجود

تفاعلي يشترط توفر الأنا الذي ليس أنا، بهذا المعنى تصبح ذاتي أمام ذات أخرى، أقيس عليها محاسني وعيوبي، وكذلك تفعل الذات الأخرى بدورها.. الأمر هنا أشبه ما يكون بالعلاقة التي تجمع الطفل بالمرآة حسب التحليل النفسي عند جاك لاكان، بحيث يتم للطفل التعرف على ذاته من خلالها. إننا وإن اختلفنا فيما بيننا، إلا أننا نعيش كلنا في عالم واحد، فشرط العيش هنا هو نحن بدل أنا، لكننا ننسى ذلك وربما نتناساه وهذا ما يجعل القضية أكثر غموضًا.

وُسم الإنسان بسمة الأنانية والعيش في معزل عن الآخر، فكان أن تشكلت بينهم الحواجز والمسافات. وأضحى الواحد يرمق الآخر بنظرة الحقد والعداوة، لذلك طُبع تاريخ الإنسانية بالصراع واللاتوافق. أن أعيش في العالم؛ الأمر مشروط بضرورة الانتماء لطرف ما -وإن حصل العكس نكون أمام حالة مرضية أو شاذة- كأننا أمام إنسانيات وليست إنسانية واحدة، وهذا ما لا يتماشى وجوهر الخلق الذي يهدف إلى التعاون بوضع خطة للعيش معًا.

عملاً بقاعدة أننا نحيا جميعًا وسنموت جميعًا، وانسجامًا مع تفشي وباء كورونا، تسلل إلينا وعي ما بضرورة مواجهته معًا، فالوضع أكبر من أن يواجهه الأفراد، كما أن خطورة هذا الوباء تكمن في أنه يعرف الانتشار كلما تهاون الأفراد في التصدي المشترك له، لقد شاءت الطبيعة -بعد مشيئة الله- أن تعطينا درسًا لائقًا بضرورة العيش المشترك، فعلى المستوى التاريخي لم تتوافق الإنسانية، إلا في الحالات التي يكون فيها العدو -خارجي أو طبيعي- الذي يتهدد الجميع.

من إرهاب التطرف إلى إرهاب كورونا

لا غرو في أن العالم ما قبل كورونا، عاش ظروفًا صعبة من حروب ومجاعات وكوارث طبيعية، غير أن ما شغل حيزًا مهمًّا من تاريخ ما قبل كورونا، هو التطرف الذي عانت من ويلاته العديد من البلدان، وهو الذي رسخ هاجس الخوف والهلع لدى فئة كبيرة من الناس، وهنا نتحدث عن التطرف الديني الذي راحت في سبيله

من حسنات وباء كورونا، أنه وحد كل الشعوب وجعل الهاجس الوحيد والأوحد هو تجاوز هاته الأزمة، التي تشترط بدورها نوعًا من التوافق بين كل الشعوب. فمن الواضح أن الأزمة بهولها، لا يمكن أن يتجاوزها الأفراد، فهي هم مشترك بين بني الإنسان.

العديد من الأرواح ولا زالت جروحه لم تلتئم بعد. ومن المؤكد حقًّا أنها ستترك في الذاكرة الجمعية ندوبًا لن يَمحوها التاريخ، وهو الشاهد على تكرار المآسي منذ كم سنة إلى اليوم.

لقد عاش العالم العديد من صور المحن، لكنها لم تزد الإنسان إلا مناعة وإصرارًا على مجابهة كل النوائب التي قد تجود بها الحياة.. من الأكيد أن التجارب الحياتية تكسب الإنسان المناعة على حد تعبير "سينيكا"، وهكذا كان على الإنسان أن ينتظم بفعل هذه الكوارث، فتاريخنا لا يحتفظ فقط بالصورة الجميلة بقدر ما يحتفظ كذلك بالعديد من المحطات السيئة.

إن القاسم المشترك ما بين التطرف الديني وفيروس كورونا، هو الخوف من المجهول والتوجس في كل لحظة، إنها حالة أشبه ما تكون بالوسواس القهري الذي يعاني منه المريض النفسي، بحيث يصبح له شك مفرط في كل شيء.. غير أن الاختلاف الحاصل ما بين التطرف الديني والفيروس، هو أن هذا الأخير أصبح بين ليلة وضحاها عدوًّ مشتركًا بين كل الشعوب، وهي وضعية قلما آل إليها الإنسان المعاصر، إذ ارتبط مسار الإنسانية بالصراع والعنف، فكان عليه انتظار هذه الجائحة التي أعادت الإنسان إلى أصله الأول؛ وهو حب الخير للغير، فكان أن حدث نوع من التعايش بفعل هذا الوباء، وهذا من حسنات الفيروس إن صح الحديث عن حسناته.

الوباء فرصة لتقدير الذات

شكل الوباء فرصة سانحة أمام الإنسان لإدراك قيمته بالعودة إلى الذات، فبعد أن فقد الإنسان البوصلة في

hiragate.com

زمننا الراهن، عاد إلى إحكام القبضة عليها من بوابة هذا الوباء الفتاك الذي أعاد للإنسان مصالحته مع ذاته، والأدهى من ذلك أنه تمكن من إدراك قيمته وأهميته في ظل هذا الوضع الذي أشكل على الإنسان تجاوزه.

في كتابه "فن العيش الحكيم" يقول "شوبنهاور": "إن النعم الذاتية هي التي تدل بحضورها على توافر أسباب وموجبات السعادة، وتشمل الطبع النبيل والعقل الراجح والمزاج الرائق والنفس المرحة والجسم السليم. ومن أوجب الواجبات علينا أن نصون هذه النعم وننميها، بدل اللهاث وراء النعم الخارجية ومظاهر الشرف والأبهة". فكل الرغبات التي يتطلع الإنسان إلى كسبها هي تسكنه على نحو ما، لكنه يجهلها أو يتجاهلها، وبالتالي فقط نحتاج إلى محن وفتن كبرى تعيد إلينا كل الوشائج التي تربطنا بذواتنا والتي ضيعناها.. نحتاج إلى إعادة تقييم النعم الذاتية حتى نقدر ذواتنا حق قدرها، بمعنى أن ما يتعلق بالذات هو الذي من المفترض أن يتغياه الإنسان، وطبعًا هذا لا يحدث إلا في الحالات التي نحقق فيها أكبر قدر ممكن من الوعي بقيمة من نحن. فمعرفة الذات هي الأخرى لا تتم من خارج الذات، تماشيًا مع قول سقراط: "اعرف نفسك بنفسك". فأنا من يجد ربي عليّ أن أفهم ذاتي وليس الآخر، إننا لسنا أمام أخصائي التحليل النفسي بحيث يجلس المفحوص أمام المحلل النفسي، ليخبره عن أشياء يجهلها هو عن نفسه.

لقد كان على الإنسان انتظار مجيء هذا الوباء للوعي بمدى قيمة ذاته والعودة إلى تقدير الذات. فلا يختلف اثنان أننا استشعرنا والعالم بما لا مجال فيه للشك أننا نعيش غربة مع ذواتنا، فاهتماماتنا بتفاصيل العيش عرضتنا للتيه بشكل أو بآخر عن الجوهر الأساسي، وهو فهم الذات وبالتالي البحث عن المصالحة. ففي وقت الأزمة أصبحت ذات الإنسان هي أغلى ما يملك، وبالتالي نفتعل كل ما من شأنه أن يدعنا أحياء، ولأرسطو قولة بليغة في هذا الشأن: "الأشياء عارضة والطبيعة سرمدية". ففي الوقت الذي استشعر فيه الإنسان خطر الموت، أصبحت كل الأشياء التي حققها والتي يرغب في تحقيقها، غير مرغوب فيها ولا تحمل أية قيمة. فالواقع أن الإنسان في المحنة، يستشعر قيمته، والموت باعتباره النهاية التي يخشاها بالرغم من إيمانه بحدوثها، تجعلنا نعيد النظر في تصوراتنا للعالم. فللموت -إذن- هذا الفضل، كونه يضع الإنسان أمام اختيارين لا ثالث لهما؛ فإما النجاة وإما الهلاك، "وتبدأ هذه الحقيقة، التي لا اسم لها سوى الموت، في إقلاق هؤلاء البشر الضعفاء". الوباء شكل مظهرًا من مظاهر النقص في الوجود، وأعطى فرصة سانحة لربط الوشائج مع ذواتنا، وعليه "فالتعايش لا يتم خارج حدود أنفسنا بل داخلها".

بما أننا "لا نرغب إلا في الأشياء التي تنقصنا" كما يقول أفلاطون، فإننا لا نعجب من أن الرغبات التي كنا بالأمس القريب نرغب فيها، قد انتفت أو عُلقت إلى أجل غير مسمى أمام رغبة العيش؛ فلا وجود لأي رغبة أكبر من الرغبة في الحياة. كما أننا في ظل هذا الوضع المأزوم، أدركنا أن ما ينقصنا حقًّا هو "نحن" بمعنى علاقتي مع الذوات الأخرى، أما الحاجات والرغبات الخارجية تبقى ثانوية بالمقارنة مع الذات والذات الأخرى، فكم من حاجة لسنا بحاجة إليها.

في نهاية المطاف تبقى هذه العودة محمودة، إنها تدخل في إطار رد الاعتبار للذات، فهي الأصل الذي وجب السعي من أجل الحفاظ عليه. وقد وعى الأنبياء والفلاسفة والمتصوفة قيمة الذات، لذا نجدهم حققوا تلك المصالحة مع ذواتهم، وهي دعوة إلى وجوب الاكتفاء بالذات، أي أن يجد المرء في ذاته كل ما يبتغيه: "فالسعادة هي من نصيب المكتفين بذواتهم". كيف ما كانت الأسباب، تبقى لهذه المصالحة مع الذات دورها في إيجاد نوع من الاستقرار النفسي والاجتماعي؛ فقبولنا للآخرين ما هو إلا تأكيد لقبولنا لذواتنا والرضا عنها، فـ"كل الشرور مصدرها عدم الاختلاء إلى الذات والاكتفاء بالنفس".

كورونا وأفق المشترك الإنساني

إن الانتقال من الأنا إلى نحن، أو التفكير في المشترك الإنساني، هو هم طال انتظاره حقيقة. فبالرغم من تزايد عدد الشعارات الدولية المطالبة بذلك، إلا أنه

hiragate.com

ظل مطلبًا تعذَّر على الإنسان تحقيقه اللهم في زمن الوباء؛ فأن يرتبط فعل المشترك الإنساني بوباء، كان من الأمور المستبعدة عن المخيال الإنساني، ولم يكن أكبر المتفائلين ليفكر في ذلك، لكن الذي حصل هو أنه -وبتفشي الوباء- انسلخ الكل عن أنانيته وأصبح يتملكه هاجس الآخر، ولنا في الحالة التي وصل إليها العالم اليوم أكبر دليل على ذلك. فالعديد من المبادرات أطلقت في العالم متجاوزة بذلك الحدود الجغرافية، وبالتالي فالطبيعة حققت ما عجز الإنسان عن تحقيقه، وهي إرادة مجهولة تدفع بالإنسان لفكرة العيش معًا، لاحتواء الآخر بالرغم من الاختلاف على مستوى الفكرة والمعتقد والجنس.. فدول لم تكن تسمح بالجهر بمعتقدات الآخر المخالف تملكها اليوم وعي بذلك، ودول كانت إلى الأمس القريب تعتبر نموذجًا للتحضر باتت اليوم تستنجد بدول أقل حظوة منها.. لقد أَوجد الوباء نوعًا من التمرد على القواعد التي وضعها البشر سلفًا، فلم يعترف بالقوة الاقتصادية ولا العلمية، لذلك تملك الإنسان هذا الشعور بالانتماء للإنسانية، وبالتالي مواجهته بـ"نحن".

إن من حسنات الوباء، أنه وحد كل الشعوب وجعل الهاجس الوحيد والأوحد هو تجاوز هاته الأزمة، التي تشترط بدورها نوعًا من التوافق بين كل الشعوب. فمن الواضح أن الأزمة بهولها، لا يمكن أن يتجاوزها الأفراد، فهي هم مشترك بين بني الإنسان، وبالتالي العيش معا يفضي بنا إلى مواجهة الأزمة معًا، وهما شرطا المشترك الإنساني، فإما أن نموت جميعًا أو أن نحيا جميعًا، "وهكذا يجد التعايش مقامه المناسب وهو أن نلتقي الغير فيما أبعد من قدرة الأنا".

ولما كان من الصعب على الإنسان "أن يكون الشخص الواحد موضوعًا للتقدير والحب في آن واحد"، كان عليه البحث عن الآخر ليضفي على وجوده الرونق المفقود، وهي فكرة تهدف إلى مد جسور التواصل والتفاعل بين بني الإنسان، وأضحت مطلبًا ملحًّا في وقتنا الراهن، الذي فيه ما فيه من السجالات والصراعات التي منبعها يعود إلى أصل واحد وهو التعصب (تعصب للفكرة-للمعتقد-للجنس). وبالتالي فالتعايش أصبح مسألة راهنية، ولعلنا اليوم أمام صور متعددة لتحقق هذا المطلب في أرض الواقع.. ففيروس كورونا، أسهم بشكل أو بآخر في تعميق الوشائج بين بني الإنسان، لمواجهة عدو واحد وهو الفيروس، وبالتالي تحقق الانتقال من الأنا إلى نحن، فما يهم الواحد فينا أصبح يهمنا جميعًا. لنقل -إذن- إن الإنسان يحنّ إلى الإنسان كلما كان حجم الخطر أكبر، أو في الوضعيات التي يكون فيها العدو واحدًا وهو الطبيعة والبحث عن السيادة (السطوة على الطبيعة).

إذن، يمكن اعتبار الوباء محطة من التاريخ تستوجب منا استخلاص الدروس والعبر، فإنسانية الإنسان فوق كل اعتبار، وهي دعوة لبداية عهد جديد يؤمن بضرورة الآخر.. فمتى تشكل لدينا الوعي بضرورة الغير، نصبح قادرين على تجاوز كل الأزمات كيف ما كانت طبيعتها. فالتفكير في العيش المشترك اليوم أضحى غاية مشتركة، وبالتالي وجب التفكير في إستراتيجيات استمرار هذه الغاية حتى بعد انتهاء هاته الأزمة، على اعتبار أنه ضرورة عيش لا يرتبط فقط بلحظية وزمن الوباء، وإنما بسيرورات الحياة.

إن التفكير فيما بعد كورونا، ما هو إلا محاولة للتخلص من رِبقة الحاضر ومن هذا القلق الوجودي الذي بات يتهددنا.. إننا لم نعد نقوى على العيش الآن بتفاصيله المملة والمقلقة، لذلك نبني وهم الانعتاق من شراك الفيروس وعناق غد أفضل قد يأتي أو لا يأتي، لكننا نأمله حقًّا. ■

(*) باحث في الفلسفة والعلوم الإنسانية / المغرب.

المراجع

(١) فن العيش الحكيم، آرتور شوبنهاور، ترجمة عبد الله زارو، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٨.

(٢) بناء الكون ومصير الإنسان، هشام طالب، دار المعرفة، ط١، ٢٠١٦.

(٣) مفارقات للسعادة لوك فيري، ترجمة أيمن عبد الهادي، التنوير للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٨.

(٤) الهجرة إلى الإنسانية، فتحي المسكيني، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٦.

hiragate.com

د. نفيسة الزكي*

الاضطرابات السلوكية لدى الطفل

تعدّ مرحلة الطفولة مرحلة أساسية يجب على الآباء الاهتمام بها، لأنها القنطرة التي من خلالها ينتقل الطفل من الاعتماد على الآخرين إلى الاعتماد على نفسه، ولأن انعكاساتها قد تكون خطيرة عليه وعلى تطوره. ففي هذه المرحلة قد يظهر عند الأطفال بعض السلوكيات غير المرغوب فيها، والتي قد تعرّضهم لسوء التوافق مع باقي مكونات المجتمع، بل هذه الاضطرابات يكون لها تأثير على

هؤلاء الأطفال أنفسهم في المستقبل؛ فكثير من العلماء والعاملين في الحقل النفسي، يرون أن مشكلات الكبار المختلفة ترجع في أسبابها إلى مرحلة الطفولة، أي إلى ماضيهم وطفولتهم وتجاربهم السابقة، وخبراتهم التي مروا بها وأحاطت بهم عندما كانوا أطفالاً، كما أجمعوا على أن هذه الاضطرابات السلوكية تتخذ أشكالاً متعددة، منها السلوك العدواني، والسرقة، والكذب، والنشاط الحركي الزائد، والخجل، والعناد، والهروب، والتغيّب عن المدرسة، وصعوبات النوم، وتشتت الانتباه.

التمتع بحياة أسرية ملؤها التعاون والحب والتفاهم والاتزان والاحترام المتبادل، ومنح الطفل الثقة بنفسه، وإحاطته بجو من الأمن النفسي والطمأنينة، عوامل تؤدي دورًا أساسيًّا في خفض فرصة تعرض الطفل للإصابة بأي من الاضطرابات السلوكية.

والاضطرابات السلوكية هي اضطرابات وظيفية متكررة الحدوث غير مرغوب فيها، تثير استهجان البيئة الاجتماعية، ولا تتفق مع مرحلة النمو التي وصل إليها الطفل، بل أكثر من ذلك هي نمط من الأفكار والانفعالات التي تتصف بالابتعاد عن السلوك المقبول لعدم وجود مبرر لها، يصاحبها سوء تكيف، وتسبب ضيقًا وتوترًا للفرد، لها القدرة على تغيير اتجاهات الأفراد نحو أوجه الحياة المختلفة. كما تعرف على "أنها جميع الأفعال أو التصرفات التي تصدر عن الطفل بصفة متكررة أثناء تفاعله مع البيئة والمدرسة وغيرهما، والتي لا تتماشى مع معايير السلوك المتعارف عليها والمعمول بها في البيئة، والتي تشكل خروجًا ظاهرًا عن السلوك الصادر من الفرد العادي".

هذا وقد أكدت الدراسات والأبحاث في هذا المجال، على أن الطفل لا يمكن اعتباره مضطربًا سلوكيًّا إلا إذا أظهر واحد أو أكثر من الخصائص التالية بدرجة واضحة وعلى فترة زمنية طويلة نسبيًّا، وهذه الخصائص هي:

١- عدم ملائمة سلوك الفرد المضطرب للأفراد والأقران تحت ظروف اعتيادية.

٢- عدم القدرة على بناء علاقات شخصية متبادلة على مستوى مُرضي، أو عدم القدرة على الاحتفاظ بمثل هذه العلاقات مع الأقران.

٣- عدم القدرة على التعلم التي لا يمكن تفسيرها على أساس عوامل عقلية أو حسية أو صحية.

٤- وجود حالة مزاجية عامة من عدم الشعور بالسعادة أو الشعور بالاكتئاب.

٥- ميل إلى تطوير أعراض جسمية أو آلام أو مخاوف ترتبط بمشكلات شخصية أو مدرسية.

hiragate.com

ويؤكد علماء النفس والاجتماع كذلك على أن من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي والعصبي للأبناء الصغار الجو المنزلي، لأنه يؤثر تأثيرًا بالغًا على سلامة الحياة الاجتماعية للأبناء؛ "فإذا كان الجو المنزلي مليئًا بالمحبة والعطف والهدوء والثبات، يكون الطفل في الغالب مطمئنًا على نفسه". فالأسرة مسؤولة عن التنشئة السليمة للفرد، إذ أن الصحة النفسية هي نتيجة المعاملة المتوازنة المشبعة بالحب والاحترام والحنان في الأسرة. أما إذا تعرض الطفل لأساليب خاطئة أو مغالية في التربية، فيشعر بالوحدة والعجز، مما يخلق لدية اضطرابات سلوكية ونفسية.

إن أولياء الأمور الذين يعاملون أطفالهم بحب واحترام، ويبدون اهتمامًا بسلوكهم وحاجاتهم، ويقدمون الدعم والمساندة للسلوك المقبول، غالبًا ما يساعدوا الطفل على أن يكون سويًا ويتصف بالايجابية والفاعلية، وفي الجانب المقابل تبرز مشاكل السلوك العدواني عند الأطفال الذين يعيشون حالة العقاب الدائم وغياب الحب، وتبرز حالات الاضطراب السلوكي كذلك في البيت الذي يسوده عدم التفاهم وخصام الوالدين المستمر.

إن أسباب الاضطراب السلوكي لدى الأطفال قد تكون متعددة ومتشعبة الجوانب، "مثل تعرض الطفل لعدم الاستقرار السكني؛ فتعرض الطفل إلى تغير زملائه من بلد لآخر وبشكل متتابع مع ما يرافقه من تغير في الممارسات والتعرض لقيم وعادات جديدة، والاصطدام الدائم بمفاهيم ثقافية جديدة وغريبة على فهم وعقل الطفل، يجعله أكثر عرضة للإصابة بهذا الاضطراب. وقد يحصل كذلك هذا الاضطراب في السلوك عندما يولد طفل آخر في الأسرة؛ حيث يشعر الطفل الأول بأن المولود الجديد أتى ليحل محله ويسلبه العطف والحنان والاهتمام من والديه والذي كان يحصل عليه قبل ولادته، كما قد يحصل هذا الاضطراب نتيجة زواج الأم بشخص آخر، مما يولّد لدى الطفل الشعور بالحرمان من أمه التي كانت معه دومًا وله وحده، ومن أنها تتعامل مع شخص غير والده، فينتج بذلك اضطراب في تصرفاته مع أمه وزوجها الجديد يدفعه في غالب الأحيان إلى الاكتئاب والإحباط، بل قد يجعل الطفل يهرب من المنزل ويلتحق بأقران السوء، ويميل بعد ذلك إلى الانحراف كنتيجة لشعوره بالضياع ومحاولة الانتقام من نفسه وممن كان وراء مأساته وتمزقه".

وإذا كانت الأسباب التي ذكرت آنفًا واضحة في جعل الطفل يضطرب سلوكيًا، فإن هناك الكثير من الأسباب غير الواضحة، إلا أنه لا بد من التأكيد على أن الجو المحيط الذي ينمو فيه الطفل ويتطور، وكذلك وضعه العائلي، له دور أساسي في اضطراب أو تقويم سلوكه. أما عن مميزات الأطفال المضطربين سلوكيًا، فمن خلال تتبع الدراسات والأبحاث يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- العدوانية: يعتبر العدوان أيًا كان شكله أو نوعه، من أهم الخصائص الاجتماعية المميزة للأطفال المضطربين سلوكيًا.

ب- العجز في مهارات الحياة اليومية: يفشل هؤلاء في القيام بأبسط مهارات العناية بالذات، فمنهم من يكون غير قادر على ارتداء ملابسه أو إطعام نفسه.

جـ- تدني احترام الذات: فهم ينظرون إلى ذواتهم نظرة سلبية وأنها لا قيمة لها.

د- غير متعاطف وجدانيا: نجدهم غير مرتبطين بالآخرين، فلا توجد هناك عاطفة أو دفء متبادل.

هـ- اضطراب اللغة والكلام: معظم الأطفال المضطربين سلوكيًا بدرجة شديدة، لا يتكلمون أبدًا أو يظهرون عدم فهم اللغة، أو تشويه الكلام إما بالإضافة أو الحذف أو الإبدال، أو ترديده مرات متكررة.

hiragate.com

و- السلوك النمطي: من الشائع لدى الأطفال المضطربين سلوكيًا، السلوك النمطي أو المتكرر بدرجة شديدة، مثل ضرب يدي الطفل على رأسه، أو ضرب اليدين في بعضهما، أو ضرب يديه بأي شيء أمامه.

ز- إيذاء الذات: نجد أن الأطفال المضطربين سلوكيًا، غالبًا ما يميلون إلى إيذاء أنفسهم، حيث إنهم لا يشعرون بهذا الألم غالبًا.

إن النمو النفسي والعاطفي والبدني للطفل، عملية متواصلة ومتصاعدة، وهو في نموه يتفاعل ويتأثر بعوامل المحيط المادي، والبيئة العائلية والاجتماعية. "فالطفل هو ذلك الإنسان في صفحات حياته الأولى، يُصاب بما يصاب به غيره، ويعاني من الاضطرابات النفسية والانحرافات العاطفية والسلوكية، كما يعاني الكبار. ولكن صورة المعاناة وأشكالها، وعمق الانفعال وآفاقه، تختلف عما ندركه في الكبر، لأن الطفل عاجز عن التعبير عما يدور بنفسه وعقله، مما يجعل مسألة فهم معاناته الداخلية مهمة صعبة تتطلب خلفية ثقافية وعلمية واسعة وخبرة ورغبة وصبر.. فقد يتعذر على الطفل الصغير في بعض الأحيان وصف حالاته وانفعالاته، لعدم قدرته على الفهم والإفهام والكلام، وهو ما يجعله يعبر عنها بشكل غامض وغير مألوف أو متوقع، مثل الهروب من المدرسة أو البيت، أو محاولة إيذاء النفس أو الآخرين".

إن الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال شائعة الحدوث، "ولا تعد في بداياتها خطيرة أو حادة أو بحاجة إلى تدخل علاجي أو تربوي، إلا إذا تكررت واشتدت وطالت مدة حدوثها، ومورست بأشكال جسمية محددة، سواء أكان ذلك في البيت أم في المدرسة، فإنها تستوجب تعاملاً خاصًا من قبل الآباء والمعلمين والأطباء المهتمين بهذه الفئة".

وبما أن الاضطرابات السلوكية يمكن أن تطغى بآثارها السلبية على "علاقة الطفل مع ذاته ومع البيئة من حوله، فلا بد من العمل بشكل جاد على الوقاية منها، وبقدر ما تكون أساليب الوقاية يسيرة حيث تتركز في تفادي التعرض لأسباب ظهور تلك الاضطرابات، من خلال تجنب العلاقات السلبية بين الطفل ووالديه من جهة، وبينه وبين أقرانه وبيئته من جهة أخرى. فالتمتع بحياة أسرية ملؤها التعاون والحب والتفاهم والاتزان

والاحترام المتبادل، إضافة إلى منح الطفل الثقة بنفسه، وإحاطته بجو من الأمن النفسي والطمأنينة في كافة مجالات الحياة، والاهتمام بتنشئته على الوجه الأمثل، والمحافظة على صحته العامة، كلها عوامل تؤدي دورًا هامًا وأساسيًا في خفض فرصة تعرض الطفل للإصابة بأي من تلك الاضطرابات السلوكية".

في الختام، نخلص إلى أن الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال تشكل عبئًا ثقيلاً على الوالدين من جهة، وعبئًا ثقيلا كذلك على الطفل نفسه.. فهي تهدد أمنه واستقراره وعلاقته بالآخرين من حوله، لذلك نؤكد على ضرورة معالجتها في بداياتها حتى لا تتحول من اضطراب سلوكي إلى مرض قد يهدد سلامة الفرد والجماعة على حد سواء. وبالتالي فإن من الواجب على المحيطين بالطفل المضطرب سلوكيًا، السعي بشكل إيجابي للتخلص منها قبل أن تلقي بظلالها على حياته، وتحوله لشخص منبوذ اجتماعيًا، أو قاصر فكريًا وأدائيًا، ومحروم عاطفيًا ونفسيًا. ■

(*) باحثة في علم النفس / المغرب.

المراجع

(١) انتهاك حرمة الطفل وعلاقتها بظهور بعض الاضطرابات السلوكية، الجبوري مي يوسف عبود، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، ١٩٩٦.

(٢) العدوانية عند الأطفال: مفهوم-علاج، عبد الستار الضمد، دار البداية، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

hiragate.com

عائشة صابر المشرفي*

دور المجتمع المدني في مواجهة كورونا

في كل مرة تحلّ بالبلاد أي أزمة أو كارثة تفوق قدرة السلطات في مواجهتها، وتتطلب تضافر الجهود المجتمعية لاحتواء هذه الأزمة، يبرز مفهوم "المجتمع المدني" إلى الواجهة وتسلط عليه الأضواء. وهذا ما حدث بالفعل بعد أن اجتاحت العالم حالة من الرعب والفزع منذ إعلان منظمة الصحة العالمية عن هجمة فيروس "كورونا" بأنها "جائحة عالمية" في ٢٠٢٠/٣/١٢.

فقد أكدت الأحداث أن هذا الفيروس الخطير الذي أصاب حتى الآن ملايين الأشخاص حول العالم، بخلاف مئات الآلاف من حالات الوفيات جراء الإصابة به، لن تستطيع أي حكومة مواجهته وحدها، بل يجب تشارك كافة الجهود سواء أكانت جهودًا حكومية أو مجتمعية أو شركات خاصة، حتى يمكن احتواؤه ومن ثم التصدي له والقضاء عليه.

وإذا كانت مؤسسات الدولة تحاول أن تتعامل مع أزمة فيروس كورونا تعاملاً رشيدًا واستباقيًا طبقًا لإرشادات وتوجيهات منظمة الصحة العالمية ومؤسسات أخرى عديدة، فإننا في المقابل نجد أن هناك حالة خوف كبيرة غير مبررة. ومن ثم تعد أزمة كورونا اختبارًا حقيقيًا لقدرات وقوة المجتمعات على مواجهتها، ويتوقف النجاح في

هذه المواجهة على قدر الوعي في التعامل مع الأزمات طويلة المدى. وبالنظر إلى هذه الجائحة فإنه لا يعرف لها نهاية محددة في ظل سرعة تداعياتها. وأمامنا مسئولية جماعية لا فردية لتحقيق الأمن والسلام والاجتماعي، وهنا يبزغ دور منظمات المجتمع المدني -والمأمول فيه كثير- إلى جانب جهود الدولة المضنية.

وقد أفضت التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية إلى القول بأن مفهوم المجتمع المدني والدولة متلازمان ومتقابلان، فلا يمكن النهوض بمجتمع مدني دون دولة قوية تقوم على مؤسسات دستورية وقانونية، وهذا لا يعني تبعية المجتمع المدني للسلطة، بل موازيًا لها، فعندما ينهار المجتمع المدني تنهار السلطة والدولة معًا.

الدور التاريخي للمؤسسات الأهلية في مكافحة الأوبئة

إن الدور المنوط بمؤسسات المجتمع المدني في مواجهة الأوبئة والكوارث ليس جديدًا عليها، فعند التقصي التاريخي لدور المؤسسات الأهلية في مواجهة الأوبئة والجوائح والكوارث، تبرز لنا عدة أمثلة في دول مختلفة منها مصر في جائحة الكوليرا -مثلاً- عام ١٩٤٧م، حيث اشترك في مكافحة الكوليرا عدة هيئات ومؤسسات خيرية على رأسها جمعية الهلال الأحمر المصري، وجمعية مبرة محمد على التي تم إنشاؤها في عام ١٩١٠م، وأيضًا شارك في هذه العملية بعض الهيئات الأخرى وطلبة المدارس والجامعات ورجال الجيش والقوات المرابطة، وتمثلت تلك المشاركة في التطوع في عملية التطعيم ورعاية المرضى والمعزولين وفتح مراكز الرعاية والتطعيم أيضًا، وكانت أهم هذه المؤسسات والهيئات هي جمعية الهلال الأحمر المصري وجمعية مبرة محمد على جبهة الدعاية لوادي النيل، والنادي العربي. وقد عمل شباب جبهة مصر بالإسكندرية والاتحاد القبطي على تجنيد شبابها في مكافحة الوباء، فوضعت لذلك كشوفًا بأسماء المتطوعين منها لتقديمها إلى وزير الصحة ليهيئ لهم العمل المناسب في هذا الميدان، وكذلك أنشأت مقرات لتطعيم الأهالي. بالإضافة إلى ذلك قامت عدة هيئات ومؤسسات أخرى بالمساهمة في مكافحة الوباء إما بالتطوع في أعمال المكافحة والتطعيم، أو بإنشاء بعض مراكز للتطعيم أو المساهمة في التخفيف عن الأسر المنكوبة وتوزيع النقود والصابون والملابس على تلك الأسر. كما برز بوضوح دور هذه المؤسسات المجتمعية في تركيا أيضًا خاصة بعد أعنف زلزال شهدته تركيا عام ١٩٩٩م الذي خلّف كثيرًا من الضحايا، فقد كان سببًا في نشأة كثير من جمعيات الإغاثة التي صار لها دور عالمي وإنساني بارز فيما بعد، ومن أشهر هذه المؤسسات جمعية "كيمسه يوكمو" (هل من مجيب الخيرية) التي غطت بنشاطاتها مساحة كبيرة من العالم.

دور المجتمع المدني في مواجهة كورونا

شهدت الفترات الأولى من هذه الجائحة ارتباكًا واضحًا لدى المجتمع المدني كغيره من الفاعلين، فقد كان الجهل بما ستؤول إليه الأمور وإلغاء الدولة لجميع الفعاليات الثقافية والرياضية والمسابقات الأدبية، والمهرجانات والنَّدوات والمعارض وغيرها، عاملاً في وقوف هذه المؤسسات عاجزة متفرجة لا تدري ماذا تصنع وكيف ستتحرك وما هي السياسات التي عليها اتباعها للتعامل مع هذا الوضع الكارثي. ثم سرعان ما انطلقت مُكونات المجتمع المدني في تحديد الأولويات مُعتمدة في ذلك على تجارب البلدان التي فتك بها الفيروس، لتصحح الخطأ في الإجراءات وتصوب تدخُّلاتها لتكون فعَّالة في تطويق الأزمة.

الأدوار الرئيسية الثلاثة

وفي ظل اتساع موجة انتشار جائحة كورونا في العالم، تبلور لهذه المؤسسات دور هام وإستراتيجي بجانب مؤسسات الدولة لمواجهة تلك الجائحة وآثارها، تمثل في ثلاثة اتجاهات:

١- دور توعوي: يعمل على نشر الوعي لدى المواطنين حول خطورة وباء كورونا، وتنبيههم إلى ضرورة الالتزام بقواعد الصحة الأساسية، ووسائل الوقاية من هذا الوباء الخطير، وتقديم المعلومات الإرشادية لمساعدة المواطنين على التصدي للإشاعات في ظل هذه الأزمة، وتوعية الجمهور بخطورة عدم

hiragate.com

الانضباط والاستهتار بإجراءات السلامة الذي ستكون له عواقب وخيمة على كافة أطياف المجتمع في حال استمراره.

٢- دور ميداني: يساعد الدولة في التصدي لهذا الوباء من خلال توفير الكوادر البشرية المؤهلة لمعالجة الآثار الناجمة عن تلك الجائحة، مثل تقديم المساعدات العينية والصحية للمواطنين، وتوزيع المواد الغذائية على المحتاجين، وتوفير المتطوعين المؤهلين للمساعدة في أعمال الرعاية في مناطق الحجر الصحي.

٣- دور رقابي: حيث تتم متابعة المؤسسات لتطورات الأزمة، وكيفية تعامل الحكومة معها، ومتابعة شكاوى المواطنين داخل الحجر الصحي، والرقابة لضمان احترام السلطة التنفيذية أحكام القانون الأساسي، واحترام الحقوق والحريات أثناء فترة الطوارئ.

الدور المنوط بهذه المنظمات على المستوى العالمي

في ظل تزايد هذه الأزمة وتداخل مراحلها، شرعت المنصات الدولية في العمل على مساعدة منظمات المجتمع المدني في تحديد احتياجات المواطنين خلال هذه الجائحة، واقترحت مجموعة من الوسائل والأنشطة تستطيع المنظمات أن تقوم بدورها الفاعل خلال هذه الأزمة منها:

أ- نشر الوعي بمخاطر الفيروس، وبأهمية العمل التطوعي بالمجتمع، والتنسيق بين منظمات المجتمع المدني بين المناطق المصابة، والتعاون مع الجهات التنفيذية في نطاق عملها.

ب- توفير التمويل الذاتي لتنفيذ مبادرتها في المرحلة الوقائية، وتوزيع المعونات على مدار الساعة، ووضع خطة متكاملة لإقامة معسكرات مؤقتة (حجر صحي) للمشتبه فيهم، وفق مطالب مؤسسات الدولة الصحية.

جـ- التخفيف على الأسر المضارة نفسيًّا وماديًّا بتقديم معونات عينية، تزامنا مع الخدمات الأخرى.

د- تتبع الحالات الأكثر تأثرًا بالأزمة وتقديم الدعم المباشر لها، كفئة العمال وموظفي العقود، وأصحاب المهن الحرة، والتجار التي تضررت تجارتهم نتيجة الأزمة.

هـ- المساهمة في إعادة تأهيل المناطق التي تم تطهيرها (أسر / قرى / أحياء) وفق الأولويات، أولها تقديم خدمات الرعاية العاجلة للمتعافين، من خلال زيارة المتعافين وتقديم الرعاية العاجلة لهم ولأسرهم، ودعم احتياجات المستشفيات وزيارة المصابين، وتقديم الرعاية العاجلة لهم ولأسرهم، من خلال تنفيذ مشروع متكامل لرعاية المتضررين.

حـ- الاستجابة الإنسانية المباشرة والعون الصحي والغذائي، وتقديم الخدمات الطبية وخدمات الحماية الاجتماعية والقانونية والعمالية، وحماية الطفل والخدمات الصحة النفسية الاجتماعية المختصة، والتنظيم المجتمعي وخدمات التوعية العامة عبر مواقع التواصل المجتمعي والإعلام.

ط- إعداد ونشر فيديوهات قصيرة عن طرق الوقاية ومكافحة العدوى، وتوزيع مطبوعات توعية على المواطنين.

مبادرات إيجابية

لقد شهد العالم بالفعل في ظل هذه الأزمة مبادرات إيجابية من بعض أصحاب الفنادق في العواصم العربية، للتبرع بإقامة للمعافين من الحجر الصحي، وفق تعليمات وزارة الصحة، كما تبرع العديد من رجل الأعمال على مستوى العالم لبلادهم وبلاد أخرى لمساعدة الدولة في مواجهة الأزمة.

وأخيرًا فإنه من الأهمية بمكان أن يتم التأكيد على دور منظمات المجتمع المدني في الخطة الإستراتيجية للتأهب والاستجابة، بحيث تكون هذه المنظمات ضمن تشكيل لجنة الوحدة الوطنية لإدارة الطوارئ، وتكون جاهزة بالفعل لأداء دورها جنبًا إلى جنب مع الدولة وقطاع الأعمال في مواجهة الأزمات المستقبلية وفق بروتوكول تعاون وتوافق يحفظ لهذه المؤسسات استقلاليتها، ويدفعها في الوقت ذاته لأداء دورها المنوط بها بفاعلية واقتدار. ■

(*) طالبة وباحثة، نظم ومعلومات أثرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

hiragate.com

عبد الحميد محمد عبد الحميد*

كن ليِّن الحديث تَفتَح لك القلوبُ أبوابَها، وكن دافئ المشاعر تُنزِل النفوسُ أفكارَك في أحسن منازلها، وأخلص في عملك يكن لك في الأرواح تأثير لا يفنى.

الموازين

ضرورة الوعي بالواقع

إننا اليوم أمة لا بد لها من اليقين بأن واقعها يجب أن يكون امتدادًا لماضيها في قيمها ومثلها ومقوماتها، وأن غدها يجب أن يكون وليدًا لحاضرها المرتبط بماضيها، وإذا كان قدر الله العادل قد ألقى على هذه الأمة دروسًا صارمة من دروس الابتلاء والنكبات، وعرّضها لمواقف عصيبة من مواقف التمحيص بالشدائد؛ فقد استبان لها أنه لا يصلح حاضرها

إلا بما صلح به ماضيها المشرق، من استمساك بعروة الإيمان الوثقى، وتدرع بدرع اليقين، والاعتصام بحبل الله المتين.

الواقع أكثر المجالات إيقاظًا للعقل

إن أكثر المجالات إيقاظًا للعقل ودفعًا له للتأمل والفهم وكشف العلاقات التي تربط مختلف الظواهر الاجتماعية وهو الواقع وما يحدث فيه من تحولات وتقلبات على صعيد الطبيعة والنفس والمجتمع.

فإلى هذا التأمل والدرس تعود الاكتشافات العلمية وما تولد عنها من تطور تقني هائل، وإلى هذا التأمل في الواقع تعزى الثورات الاجتماعية الكبرى التي حدثت في التاريخ.. والمسلم اليوم مدعو إلى تفهم واقعه من أجل تغييره والارتقاء به إلى المثل الإسلامية الصحيحة، وبالمقابل جعل الله تعطيل العقل عن وظيفته والحواس عن إدراك واقعها، يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان.

وليست الحضارة الإسلامية وهي من أكبر التحولات في التاريخ البشرية، إلا ثمرة للرجة العنيفة التي أيقظ بها القرآن العقول من غفوتها، ودفعها للتأمل في واقعها وما فيه من تقلبات كبرى على صعيد الطبيعة والمجتمع. وإذا كان الشأن في الإسلام أن يعمر الحياة بمعانيه ويغمرها بصوره وألا ينفك كذلك مواكبًا لتطورها، فقد أصبح نصيبنا اليوم من الإسلام تدينًا تقليديًّا متأخرًا عن تقدم حركة الحياة في الاعتقاد والفكر والعمل.

وكان الانحطاط نتيجة منطقية لانقطاع التفاعل بين العقل المسلم والواقع بتقلباته المختلفة، وتحولت دعوة القرآن للملاحظة والتأمل والتفاعل مع الواقع للسيطرة عليه إلى ورد مكرر يجتر في حلقات الذكر، أو وسيلة في يد المتسلطين لتخدير العقل، ومع حركة الانحطاط المضطرد التي لازمتنا دهرًا طويلاً أصبحنا نرى أرض الإسلام تنقص من أطرافها، ومظاهره تتلاشى وخيره يتضاءل وتحيط به الشرور المقتحمة.. وكانت علة ذلك وعاقبته مواقف في العقيدة قنوعة غير طموحة، تجنح للمحافظة وتخاف من المخاطر والمكاره وتؤثر الفرار والنجاة.

والفكر الإسلامي الذي أنتجته هذه المواقف العقيدية، فكر يدبر عن واقعه الحاضر، ويتشبث بتراث الفكر الذي نشأ عن واقع سالف، وذلك من فرط تعلقه بالماضي وارتيابه بالحاضر وخوفه من المستقبل. فحين يؤخذ فكر كان ثمرة تفاعل مع واقع معين مأخذًا مطلقًا وينقطع عن إطاره الواقعي، يصبح تراثًا مجردًا تنسد طرق الاجتهاد فيه والتجديد، لأن التفاعل مع الواقع الحي، هو الذي يعرض الفكر لتحديات الظروف المتجددة كل يوم، ويستفزه إلى أن يستجيب لها فيتجدد وينمو اضطرادًا.

الواقع مجال التدين الحي

حين انقطع فكرنا عن الواقع وهو مجال التدين الحي، حرم من كل مدد يصله بأصول الحياة، وغدا محفوظات نقلية منفصلة عن علوم الواقع الطبيعي والبشري التي تدركها الحواس ويعيها العقل. وكما كلفنا الله بحفظ العلم النقلي الشرعي الذي يحتوي الوحي المنزل من الله والسنة النبوية وواقع التدين في عهد النبوة، فقد كلفنا أيضًا بالتماس العلم الوضعي الواقعي، وأنذرنا أننا مسئولون عن كسب السمع والبصر والفؤاد، لكن الشقة تباعدت في تاريخ المسلمين بين هذين العلمين -النقلي والوضعي- وتعطل العلم الذي نكسبه حسًّا وعقلاً من آيات الله سبحانه المبثوثة في الكون، وانفصل عن العلم النقلي الكتاب والسنة، والأصل أن يتحدا ويسخرا لعبادة الله. فلا يتم فهم الوحي ولا تحقيق مقتضياته بغير علم حي عقلي واقعي، ولا يهتدي علم عقلي بدون علم الوحي. فبانقطاع العلم النقلي عن التفاعل الحي مع الواقع، تلاشت طبيعته الدينية الأصولية، لأن مجال التدين الحي هو الواقع والتفاعل بأصول التدين مع ابتلاءات الحياة وظروفها المتغيرة.

ضرورة تفاعل الفقه الإسلامي مع الواقع

إن رسالة الإسلام واقعية مع الإنسان في مختلف مواقفه الزمانية والمكانية والحضارية، والشأن في الفقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي خاصة، أن ينشأ في مجابهة التحديات العملية لذلك الواقع.

hiragate.com

hiragate.com

وإن حركة الإسلام منذ أن تجاوزت العموميات النظرية التي طرحتها لأول عهد النبوة، ومنذ أن تقدمت إلى قضايا أكثر مساسًا بالواقع وأقرب إلى تناول الفروع والأحكام، أصبحت مدعوة إلى أن تعالج مسائل الفقه المفصل، وأصبح مسيرها لا يتقدم إلا بالتفقه الأدق بمقتضى دين الله ﷻ في مجتمعنا المعاصر. فالناس اليوم غدوا يطلبون من الدعاة بأن يوافوهم بالمناهج العملية لحكم المجتمع وإدارة اقتصاده وتنظيم حياته العامة، لهداية سلوك الفرد المسلم في ذلك المجتمع الحديث.

ولدى هذه المرحلة في الدعوة، أن الفقه الذي بين يدي الدعاة مهما تفنن حملته بالاستنتاجات والاستخراجات، ومهما دققوا في الحواشي والمراجعات، لن يكون كافيًا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها، ذلك لأن منهج أصول الفقه الذي ورثناه بطبيعة نشأته، بعيدًا عن واقع الحياة العامة، وبتأثره بالمنطق الصوري وبالنزعة الإسلامية المحافظة والميالة نحو الضبط والتي جعلته ضيقًا، لا يفي بحاجاتنا اليوم، ولا يستوعب حركة الحياة المعاصرة.

فليست صورة التدين ولا مشكلاته التي عاشها الرعيل الأول هي صورة الإسلام الوحيدة ولا الجامدة، فالتحديات التي تطرحها أقدار الله في حاجات الناس وعلاقاتهم ومشكلاتهم تتجدد أبدًا، ولا بد أن تتبدل تبعًا لها صورة الحياة الإسلامية التي تستكمل استجابة المسلمين لتلك التحديات، انطلاقًا من أصول اعتقادهم ومعايير شرعهم الواحد.

ثم إن العلم البشري قد اتسع اتساعًا كبيرًا، وكان الفقه القديم مؤسسًا على علم محدود بطبائع الأشياء، وحقائق الكون وقوانين الاجتماع، مما كان متاحًا للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره، أما العلم النقلي الذي كان متاحًا في ذلك الواقع فقد كان محدودًا أيضًا مع عسر في وسائل الاطلاع، وبالبحث والنشر، وبينما تزايد المتداول في العلوم العقلية والنقلية بأقدار عظيمة، أصبح لزامًا علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة لتسخر العلم كله لعبادة الله ﷻ، ولعقد تركيب جديد

إن أكثر المجالات إيقاظًا للعقل ودفعًا له للتأمل والفهم وكشف العلاقات التي تربط مختلف الظواهر الاجتماعية وهو الواقع وما يحدث فيه من تحولات وتقلبات على صعيد الطبيعة والنفس والمجتمع.

يوحد ما بين علوم النقل التي نتلقاها كتابة ورواية، قرآنًا وسنة، وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل بالتجربة والنظر.

ارتباط الواقع الفكري بالحياة

لا شك أن الفكرة ركيزة هامة في حياة الشعوب، ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها، وفي ميداننا تحسم نتائج مختلف أشكال الصراع، فمن ينتصر بأفكاره يضمن لنفسه الانتصار في مجال السياسة والاقتصاد وكل المجالات الحياتية الأخرى. وإن جمود الفكر وانطفاء تفاعله مع الواقع، يؤدي إلى جمود الحياة في كل مناحيها.

إن الجنوح إلى السكون وانفصال الفكر عن الحركة مع الكون والحياة، هو علة تخلفنا السياسي والاقتصادي، "إذ إن مجتمعنا أصبح يعاني في قيادته، أزمة أخلاقية وفكرية تجعله بصفة عامة لا يحقق للأفكار ثبوت حصانتها وفعاليتها فيه، حتى إنها تكون معرضة للدس إما لضعف أخلاقي يحيط بها، وإما لضعف فكري يخذلها.. غير أننا إذ ما فحصنا هذه الحالة على ضوء تجربة طويلة، فسوف نجد أن الضعف الفكري هو أقوى العوامل تأييدًا ومساعدة لمساعي الاستعمار في جبهة الصراع الفكري". وبالمقابل يكون النجاح الفكري وسيلة للقضاء على النفوذ والسيطرة الاستعمارية، ولكن بشرط أن يكون الفكر انعكاسًا لقيم الواقع وتعبيرًا عن تواصل حضارة المجتمع السابقة.

وفي الواقع العربي والإسلامي يشكل الفكر الإسلامي بروحه القرآنية الفعالة، وبثوابت القواعد التشريعية المنزلة فيه، وبأحكامه العامة المرنة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، يشكل هذ الفكر الإسلامي

hiragate.com

منهج المفكر العربي المسلم في تعامله مع الواقع، كما يشمل الفكر الإسلامي التجربة الحضارية التي تركت بصماتها على المستوى العالمي الشامل. واليوم حتى يتحقق التحرر والنهوض، لا بد من حل مشكلة الأفكار وربطها وتفاعلها مع الواقع، وذلك "بأن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار، حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي".

فهم الواقع من مقومات العمل التغييري

إن مدى نجاح أي حركة تغيير في مقولاتها ومنهجها، يرتبط أشد الارتباط بمدى فهم العاملين فيها للواقع المراد تغييره، ذلك لأن التغيير يبتدئ بنقد الواقع نقدًا يفضي إلى الحكم عليه كليًّا أو جزئيًّا بالبطلان، وينتهي بإلغائه وإحلال صور أخرى محله، فهو بهذا المعنى يتنزل منزلة السبب بالنسبة للعمل التغييري، ولا بد لفهم المسبب من فهم عميق للسبب.

وإن تغيير الواقع الإنساني في الفكر والاجتماع والسلوك، عمل يبلغ من الصعوبة والعسر ما يجعل الكثير من حركات التغيير تبوء بالفشل في تحقيق ما رامت من أهداف، ذلك لأن الواقع سطوة على النفوس ينشأ منه الاستمراء والألفة، فينزع إلى الاستقرار والثبات ويتأبى على الإزالة والتغيير.

فنقطة البداية في كل عمل تغييري، هي فهم الواقع والظروف المحيطة به والإمكانات المتوفرة فيه، ولا شك أن ما من حركة تغييرية إلا واحتاجت إلى قضية رئيسية، وكلما كانت هذه القضية رامية الجذور في الواقع متجاوبة مع آمال الناس وتطلعاتهم موجهه إلى صميم الأزمة الواقعية، توافرت عوامل النجاح والتواصل لتلك الحركة، ذلك أن نجاح أي عمل تغييري وفاعليته في الحياة، مرتبط بما يكتب له من التنزيل في الواقع المعاش لا بما يتحقق له من الوجود في الأذهان فقط.

وإن الحركات الإصلاحية التي ظهرت عبر التاريخ، كانت مترددة بين الفشل والنجاح بقدر ما تستوعب من الواقع، وما تحسن من الحوار معه، وما تأخذ به من الأسباب الناجحة في تغييره.. وقد ثبت أيضًا أن عنصر الإخلاص وحده ليس يكفي لإزالة الباطل وإحلال الحق، لأن انحراف الواقع أكثر عنادًا من أن يتغير بالإرادة المخلصة. فلا بد من أن تتوفر أيضًا عناصر الحكمة والانسجام الإيجابي مع هذا الواقع تبنى عليها منظومة متكاملة لمنهجية التعامل معه بقصد التغيير والإصلاح، وإن عدم الاهتداء إلى تلك العناصر لإقامة منهجية التغيير عليها، كثيرًا ما يوقع في الارتكاس بالواقع إلى أسوأ مما كان فيه من الاختلال.

إن البرامج التغييرية الحقيقية لا يمكن أن تولد إلا في أحشاء المجتمع استيعابًا للواقع وتمثلاً للتاريخ وتبصراً بالدليل والمنهج، ولا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلاً مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته.. أما أن يستورد حلولاً من الشرق أو الغرب، فإن ذلك تضييع للجهد ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار، فالفرق شاسع بين مشاكل تدرسها في إطار الذروة الزمنية الغربية، ومشاكل أخرى تولدت في نطاق الذروة الإسلامية.

إن الحلول لمشكلات أي واقع، لا تكون باستيراد التعريفات والمناهج الغربية عن ذلك الواقع، وإنما بالوصول إلى الحلول من خلال فهم الأرضية التي يجب أن تنطلق منها عملية النهضة، وبدراسة دقيقة لخصوصيات التركيبة الثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية، حتى يتيسر بعد ذلك اقتراح الأفكار للحلول، وتحديد الأهداف المنقذة من الواقع المتردي.

وخلاصة القول، إنه لا بد للدعوة الإسلامية من تنظير لإستراتيجيتها تخرج بها من الدوامة، وتستجيب للتحديات الكبرى التي تواجهها الأمة في واقعها الراهن. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

المراجع

(١) الإمام عبد الحميد بن باديس، محمود قاسم.

(٢) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي.

(٣) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي.

hiragate.com

أميرة الشناوي كيوان*

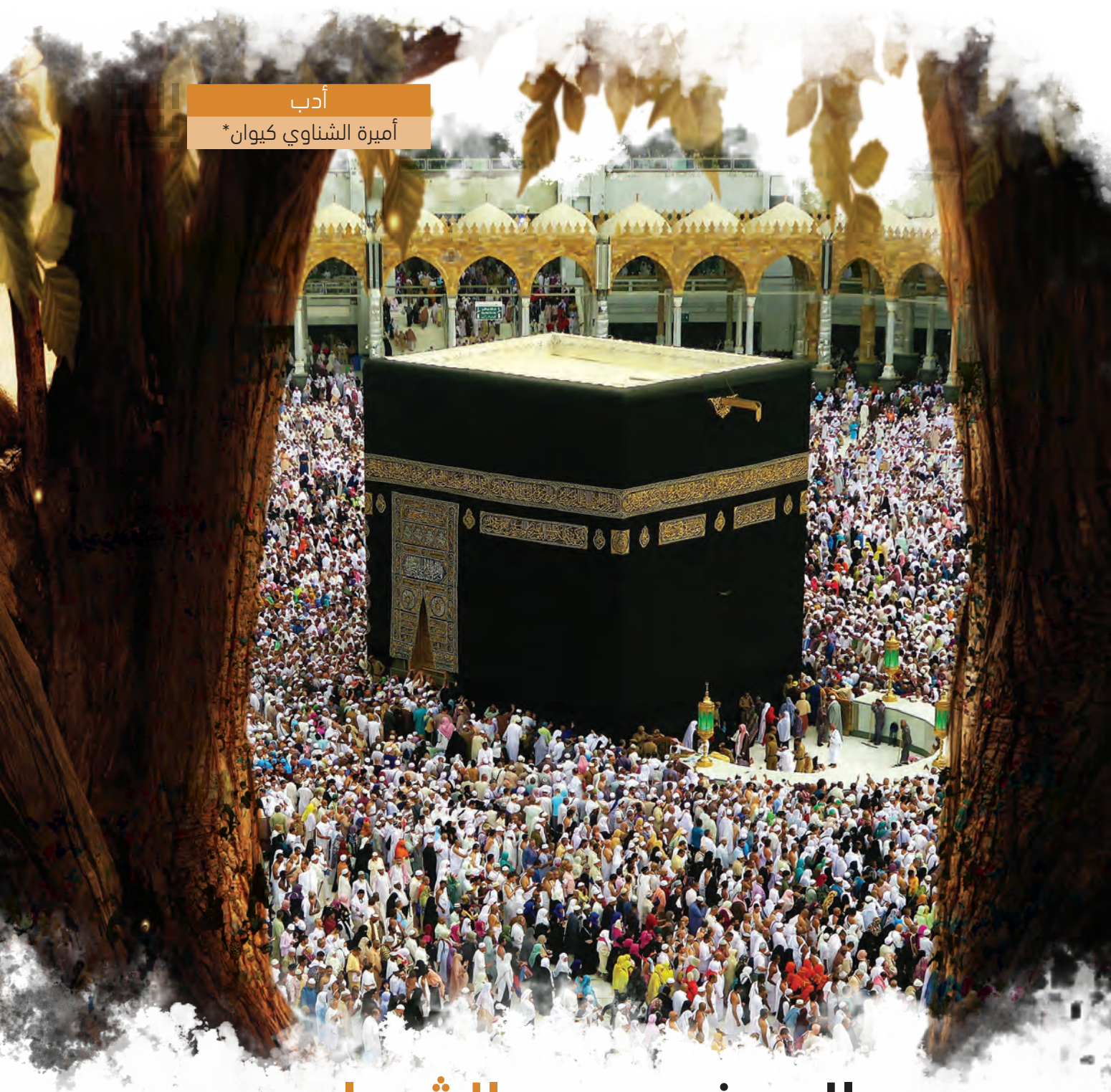

الحج في عيون الشعراء

كل مسلم تهفو نفسه إلى زيارة الأراضي المقدسة، وتحنّ روحه إلى التمتع بفيض من النور الإلهي والروحانية التي تنبعث من الفيوضات الرحمانية في هذه الأراضي، حيث يستعذب المسلمون كل ألوان التعب والمشقة التي يلاقونها في سبيل الوصول إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، إذ يأتي الناس من كل

حدب وصوب وفودًا من كل أصقاع الأرض، أجناسًا شتى ولغات مختلفة.. جاؤوا يحدوهم في ذلك أمل كبير أن يتقبل الله منهم ويعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وقد داعبت هذه المواقف وجلالها خيال الشعراء، وغلبت أحاسيسهم واستجاشت عواطفهم، فنظموا في القريض ألوانًا مصورين خلجات النفوس التي تختلف من شاعر إلى آخر، فمنهم من جاشت نفسه محدثة إياه عن ولوعه بزيارة بيت الله الحرام، ومعبرًا عن طموحاته وأمانيه لأداء هذه الفريضة؛ ليغسل قلبه من أدران النفس البشرية، ويتطهر من ذنوبه ويغير بصيرته.. ومنهم من وقف في هذه المشاعر فأخذته تجليات الموقف المهيب، فاستشعر هذه الروحانية التي تصفو معها النفس وتصوغ في عبقها الأريحية ونقاء الضمير والنفس.. ومنهم من شاهد الجمال والروحانية عيانًا فاندفع يصف لنا هذه البقاع المباركة، يصف الشعائر شعيرة شعيرة.. ومنهم من استنبط ببصيرته الحكم العظيمة المكنونة في هذه الفريضة.

هذا ويأخذنا شاعرنا عبد الستار سليم في قصيدته مآذن الحرمين، إلى جلالة هذا الموقف، معبرًا عن حنينه الشديد إلى هذه البقاع الطاهرة ليمعن ناظريه بمشاهدتها:

تشتاق للبيت العتيق نواظري
وإلى ثرى أرض النبي كياني
ومآذن الحرمين يسكن طيفها
في خاطري وآذانها بجناني
ولماء زمزم في الجوارح غلة
ولملتقى عرفات حن زماني
ويسوقني الشوق المؤرق جفنه
لربا الحجاز بهادر التحنان
لا غرو أن يشتد بي حر الظمأ
فلنور أحمد يظمأ الثقلان

وينساب القريض عذبًا سلسبيلاً من وجدان شاعرنا السيد سلامة السقا وقد وصف أم القرى وما يزينها، وما يعلوها من الحيوية والإشراق حين يحل موكب الحج وتتتابع مواكب الحجيج، ويتحرك الركب إلى هذه الديار المقدسة ملبية نداء الحق ﷻ، الذي رفعه إبراهيم الخليل عليه السلام، منذ أمر بالآذان في العالمين.

أم القرى بالحج تشرق أرضها
وإليه تهفو بالحنين قلوب
ومن الحجيج مواكب تسعى لها
عند الآذان رجالة وركوب
من كل فج ليس يوهن عزمها
إقبال دنيا أو أذى ولغوب
تطوي الصحارى لا يعوق طريقها
للحج كثبان بها وجيوب

ويشير الشاعر محمد عبد العزيز في قصيدته على عرفات، موضحًا لنا مقاصد الحجاج ودوافعهم من القيام بهذه الرحلة، وقد تجشموا عناء التعب والجهد، وقد ضحوا بأموالهم وأنفسهم، وقد شدوا رحالهم قاصدين ربهم ﷻ:

إلهي وقفت دموعي تسيل وقلبي ببابك باك ذليل
فذنبي كبير وزادي قليل فمُنَّ علي بعفو جميل

ثم يقول في المقطع الثاني:

أتيت أجر خطايا السنين أتيت إلى أحكم الحاكمين
وكلي اعتقاد وكلي يقين بأن لديك شفاء العليل

ثم يقول في المقطع الثالث:

سألتك مغفرة للذنوب وسترًا لما مسنا من عيوب
فأنت إلهي طبيب القلوب ونور هواك يضئ السبيل

ويتحفنا الشاعر أحمد صدوق عبد العليم حين يصف جمال هذه البلاد وما حباها الله من المهابة والجلال، وأحاطها بسياج من التكريم والوقار الذي يخيم على كل شيء فيها، حيث تحمل كل بقعة فيها تاريخًا، وتمثل بصمة فواحة بعبق التاريخ الإسلامي المشرف:

هذي ديار حباها الله منزلة
يهفو إليها إلى أفيائها البشر
ربوعها السحر لا يرقى لها قلم
والسحر يدرك لا يأتي به الخبر
ففي الصباح انتعاش في تنفسه
وفي المساء اكتمال حين يبتدر

ويشير شاعرنا منذر الشعار في قصيدته زمزم، إلى مدى ما يجد الحاج من السعادة والصفاء الروحي والنفسي، ولا سيما من الارتشاف من ماء زمزم التي ينتشي الشارب

hiragate.com

من رحيقها العذب، حيث يحظى بالشفاء من علته، وينعم بالدواء لدائه، كما تمحو بإذن ربها الخطايا، وهي لما شربت له، فمنهم من يشربها لنيل العلم أو الحظوة بالرضا والقبول، أو النجاة في يوم الحشر من الأهوال العظام وعطش يوم القيامة، وكل يشرب منها لما يريد ويبتغي، وحيث صدقت النية تحقق المراد بإذن الله:

إذا شربوا من زمزم وتوضأوا
سموا الخطايا عنهم في تحطم
فيشربها بعض الحجيج لمغرم
عليه وبعض إن حسا فلمغنم
وبعضهم لغفران الذنوب وبعضهم
لعلم ومن يشرب بزمزم يعلم
وبعض حساها في القديم لمحشر
وعطشى به والله أهل التكرم

ويتناول الشعراء جانبًا من جوانب الشعائر التي يقوم بها الحجاج، حيث يقف المسلمون ويطوفون، ويلبون ويزورون بعض الأماكن.. وهنا يأخذنا الشاعر سعد عطية في رحلة قدسية في مناسك الحج في قصيدته رحلة في مناسك الحج، فينقلنا إلى المنسك الأول وهو الميقات، حيث تبدأ الرحلة الأولى وتبدأ معها النية الصادقة، ويتحرك الأمل في نفوس الحجاج مدفوعًا بالرجاء:

إن في الحج لو علمت انعتاقًا
وانطلاقًا من ربقة الأطيان
من هنا تبدأ الحياة ائتلافًا
وارتقاءً في موطن الإيمان

ويشير الشاعر صدوق عبد العليم إلى تكريم الله ﷻ لضيوفه، حيث يخفف عنهم من فرائضه التي افترضها عليهم حيث تقصر الصلاة:

وفي مقام خليل الله موقفنا
والركعتان جنان الكون تختصر
تبدت الكعبة الزهراء حالية
مجلوة فعيون القوم تنبهر
هنا يلوذ بباب الله ملتزم
هنا يطوف بفلك الله معتمر

كل مسلم تهفو نفسه إلى زيارة الأراضي المقدسة، وتحنّ روحه إلى التمتع بفيض من النور الإلهي والروحانية التي تنبعث من الفيوضات الرحمانية في هذه الأراضي.

ويشير إلى عدد الأشواط التي يطوفها الحجاج حول الكعبة المشرفة، وسعيهم بين الصفا والمروة، حيث يقول الشاعر عبد الحميد فارس.

يطوفون سبعًا ويسعون سبعًا
ويسبقهم للإله الرجاء
وأذرعهم ضارعات ولهفي
وتقرع بالحب باب السماء

ثم يشير شاعرنا سعد عطية الغامدي إلى مبيت الحجيج بمزدلفة، وما يحمله هذا المنسك من مذاق خاص، بما يحمله من الطاعة والولاء لله ﷻ:

آذنت شمس يومنا برحيل
فأفيضي للجمع في إذعان
ولدي المشعر الحرام أطيلي
وقفة الذكر والنجاوي الحسان
هاهنا برزخ الرجاء أضاءت
شاطئيه بشائر الغفران

وتستمر رحلة الحجاج القدسية بين المناسك وأداء الشعائر، ليصل فوجهم إلى أيام التشريق، حيث يقول الشاعر سعد عطية:

وغداً تحتفي منى بنبيها
من جديد وتحتفي المروتان
في غد تذبح القرابين ذكرى
لفداء الخليل ذي البرهان
قام لله والذبيح لرؤيا
صدقاها فاستقبلا يصدقان
لن ينال الإله منها دماء
أو لحوم بل صادق الإيمان
تلك هي بعض الملامح التي أفاضت بها قريحة

hiragate.com

الشعراء، وجادت بها عواطفهم في وصف المشاعر والشعائر والمناسك.

ثم ننتقل مع بعض الشعراء الذين توغلوا في أسرار الحج واستكنهوا الحكم، حيث فكروا بقلوبهم وشعروا بعقولهم ورأوا ببصائرهم أن للحج حكمًا كثيرة، منها أن الحج يوحد صفوف الأمة، ويزيل ما بينهم من الفوارق الجنسية واللغوية وغيرها، كما يقرب بينهم في الأهداف فيمزجهم برباط التقوى ويجمعهم على كلمة التوحيد، ويظلهم تحت راية القرآن.

كما أن فريضة الحج والشعائر التي يقوم بها الحجاج، تذكر أيضًا بالتاريخ الإسلامي المديد، وحياة الأنبياء ومدى ما عانوه في تبليغ رسالات الله ﷻ، ومن ثم تدفعهم للسير على نهجهم وإحياء السنن الإلهية، واتباع شرائعه وامتثال أوامره، وما جاء به رسله واقتفاء أثر السلف الصالح، لأن هذه الشعائر تدفعهم للتأمل ونبش التاريخ الإسلامي الطويل لتدبر معالمه.. وهنا يشير شاعرنا رفعت المرصفي فيقول:

إني هنا أحيا على ذكر الفدا
وتهيجني الذكرى تثير خيالي
وتجول أطياف الحبيب بمهجتي
ويرف بالآذان صوت بلال

وموقف أيضًا من حياة سيدنا إسماعيل عليه السلام، وقد عزت المياه وأصابه العطش، وقد أخذت هاجر تهرول بين الصفا والمروة على سراب كان يخيل إليها، فأغاثها الله ووليدها بفيض من نعيمه بماء زلال كان نواة لبئر زمزم، وهنا يشير شاعرنا محمد منذر الشعار:

أفجرها جبريل قدمًا لهاجر
وطفل لها تخشى على نفسه ظمي
بتقدير رب العرش منهم وإنه
متى ما يرد يقض المراد ويحكم
فما أشرف البدء الذي ليس مثله
لماء وأكرم بالمسيل وأعظم
فيشرب إسماعيل منها ويغتذي
وتحن إليه بالكرامة تنتمي

ويشير الشاعر جمعة الشايب إلى حكمة الحج في التذكير بما خاضه رسول الله ﷺ في دعوته وغزواته:

حسبي أري نور النبي محمد
فيها وذكرى الأعصر العطرات
هذي الصحاري أحمد قد خاضها
يشوي الهجير دروبها العسرات
وزمانه لم يركب الأجواء بل
عبرت به القصواء لفح فلاة

كما يستخدم الشاعر عبد الستار سليم، رمي الجمار استخدامًا آخر، حيث يستخدمه في تدمير الشيطان اللعين الكائن في النفس البشرية:

ندعوك يا رب الجمار بحجة
ترمي بداخلنا هوى الشيطان

وعندما يؤدي الحجاج فريضة الحج، ويؤدون شعائرها على الوجه الأكمل، لا يبقى أمامهم سوى الرجاء والأمل في الله أن يتقبلها منهم، ويعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، أن يكتبها لهم حجة.. فيقول الشاعر سلامة السقا:

لبيك لا أحد سواك لتمحها
أنت الرؤوف بنا وأنت حسيب
لبيك غفار الذنوب جميعها
جئنا لبيتك نادمين نؤوب
ذا رحمة تسع الخلائق كلها
اجعل لنا فيها لذاك نصيب
وقفا عذاب النار يوم بروزها
ويشيب ولدان ويذهل شيب

ويبتهل شاعرنا عبد الوهاب المرصفي في أشواقه إلى البيت العتيق، أن يرفق به ويحتسب له حجة تأخذ بيده إلى رحمة الله وجميل عفوه:

فارفق بقلبي واحتسب لي حجة
يروي الفؤاد وتنتشي أوصالي

وهكذا استطاع شعراؤنا أن يصفوا لنا الحج ومشاعرهم، ومدى لهفة النفوس المسلمة إليه، ومدى توقهم لتأدية هذه الفريضة، كما استلهموا بعض العبر والحكم الكامنة في هذه الفريضة. ■

(*) متخصصة في مجال التربية النفسية والسلوكية / مصر.

hiragate.com

عبد السلام كمال أبو حسن*

حراء تحتفي بـ"فريد الأنصاري" في ذكرى وفاته

يعد الأستاذ فريد الأنصاري العلامة المغربي أحد العلامات البارزة في مسيرة حراء منذ تأسيسها، ومن ثم فقد اغتنمت حراء ذكرى وفاته الحادية عشرة لتلقي مزيدًا من الأضواء الكاشفة على جوانبه الإبداعية فكريًّا وأدبيًّا، ففي ظل الأحداث الصعبة التي يمر بها العالم الآن تنامى دور التواصل عبر المنصات الإلكترونية، وأتيح للعديد من المفكرين والأدباء والمثقفين والمعنيين بالقضايا المشتركة من مختلف أنحاء العالم الالتقاء عبر هذه المنصات وتبادل الرؤى والخبرات والتجارب. واتساقًا مع هذه المرحلة عقدت حراء سلسلة من الندوات الدولية الإلكترونية حول عدد

من القضايا كان أبرزها الندوة الدولية التي عقدت بتاريخ ١ يوليو ٢٠٢٠، وذلك تحت عنوان: "الدكتور فريد الأنصاري مفكرًا وأديبًا"، بمشاركة مجموعة من المفكرين والباحثين من مختلف دول العالم.

تناول المشاركون في هذه الندوة المنجز الفكري والأدبي والإصلاحي للمرحوم العلامة فريد الأنصاري، حيث أوضح الأستاذ نوزاد صواش المشرف العام على مجلة حراء والمؤطر لهذه الندوة في أثناء تقديمه للضيوف واستعراضه لأبرز مؤلفات الأستاذ الأنصاري العلمية مدى إسهام الأستاذ الأنصاري في مسيرة الإصلاح ورؤيته الاستيعابية الشاملة العابرة للحدود، واقتفائه أثر حركات النهوض في العالم الإسلامي وتقديمه لنماذجها في أعماله الفكرية والأدبية، وتكييف طرق الاستفادة منها في بيئاتنا المحلية، وفق مرجعياتنا الثقافية ومصادرنا الذاتية.

أما الأستاذ الأكاديمي والناقد الأدبي محمد جكيب الأستاذ بجامعة شعيب الدكالي بالمغرب فقد أكد على أن الأستاذ الأنصاري ما زال في حاجة إلى إعادة اكتشاف أو إلى مزيد من الاكتشاف، وأننا ما زلنا في الطريق إلى هذا الاكتشاف؛ إذ إن السياق العام الذي يمر به العالم الإسلامي يفرض علينا أن نقف عند فكر هذا الرجل وإعادة اكتشافه من جديد؛ لكونه عاش حياة حافلة بتحولات فكرية متعددة، كما أنه كان رجل همّ وهمّة يحمل مسؤولية همّه وهمته ويعيش من أجلهما.

ولم يتوقف دور الأنصاري الإصلاحي على محيطه القريب، بل كان دائم البحث والتنقيب عن رؤى الإصلاح ونماذجها في الشرق والغرب، وقد عاش عدة اكتشافات وتأثيرات منها اكتشافه لرسائل النور واكتشافه أيضًا للترجمة الفعلية لهذه الرسائل من خلال اكتشافه لفكر فتح الله كولن وحركة الخدمة، هذه الاكتشافات عبر عنها من خلال عَمَليْه الروائيين في السيرة الغيرية الإبداعية "آخر الفرسان و"عودة الفرسان" وكذلك عمله البديع "رجال ولا كأي رجال". ومن يطالع مقدمة كتابه "عودة الفرسان" فسيجد أن شخصية الأستاذ فتح الله كولن كانت حاضرة وبقوة معه في أثناء خطه هذا الكتاب، حيث اعتبر أن العبور من النظري إلى الميداني كانت أهم نقطة في اكتشافه لشخصية الأستاذ كولن وحركة الخدمة.

وختم حديثه بالقول: إن فريد الأنصاري كان رجلاً متطلعًا إلى الأصلح دومًا، وإلى تغيير واقع الأمة، وقد كان في نقده لبعض الحركات الإسلامية في الأمة ينطلق من رغبة في البناء وتحري الوصول إلى الأفضل لا رغبة في النقد المجرد أو الهدم والانتقاض.

وفي كلمته الموجزة والثرية أثنى الصحفي والروائي الأكاديمي المغربي الأستاذ إدريس الكنبوري على استدعاء شخصية المرحوم فريد الأنصاري للحديث عنها في هذه الظرفية، وذلك لأن التجربة التي خاضها والرؤية التي قدمها قد حان موعد حصادها، ومن ثم فالوقوف على هذه التجربة، وتقييمها إلى جانب تجارب الآخرين مطابق لمقتضى اللحظة الراهنة وأحوالها.

واستطرد الأستاذ الكنبوري مفصّلاً في هذه النقطة قائلاً: لقد كان الأنصاري من الرواد لأنه أول من فتح باب النقد للتجربة الإسلامية. فقد أدرك رحمه الله تعالى منذ البداية الانفصال الواقع في الحركة الإسلامية وتمسكها بالمنهج السياسي على حساب المنهج التربوي، فلخص العملية في غاية البراعة عبر كتاباته وعمل على إعادة الناس إلى القرآن مرة أخرى، لأن الإنسان قيمة والقرآن فيه مجموعة من القيم التي تنمي هذا الإنسان وتنظم سلوكه. ففريد الأنصاري خلاصة أمة، لأنه كان متعدد

hiragate.com

المواهب كلما دار سقى، عاش رحمه الله كالعلماء السابقين لا يحدهم مكان ولا زمان؛ رحل بروحه إلى اليابان فكتب شعر الهايكو، كما رحل إلى تركيا وتعرف على تجربة الشيخ النورسي وتجربة الخدمة للأستاذ فتح الله كولن. وإذا بحثنا عن سبب رحيله الروحي إلى تركيا وإلى غيرها من الدول مع أن المغرب هي بلد الأولياء والعلماء فسنجد أنه كان لا يبحث عن التربية من أجل التربية، ولكن يبحث عن التربية من أجل بناء نموذج حضاري، الأمر الذي وجده في حركة الخدمة.

وفي تعقيبه على موضوع الندوة أبان الدكتور جمال الحوشبي الكاتب والباحث السعودي ومدير تحرير مجلتي مكة وهاجر أن أهم ما استوقفه عند مطالعة منجز المرحوم الأنصاري المكتوب والمسموع، أنه فريد الرمز وفريد الإنسان، ففريد الإنسان عاش الهم والألم، عاش الحقبة بجميع مشاكلها فاستطاع تشخيص الواقع، كما أنه كان دائم البحث عن النور، وكان متشبعًا بنور القرآن، والقرآن جعله يتعرف عن كثب على الخدمة، وهي كانت آخر محطات حياته، فكان يعيش ويحيا بالقرآن، كما كان فريد الأنصاري حرًّا في قراره لم يكن أسيرًا لحركات أو أشخاص معينين لذا تحمل صعوبة هذا القرار وعانى من أجله، لكنه استطاع أن يميز بين الحق والباطل كما كان التوفيق حليفه فوفقه الله سبحانه وتعالى في آخر حياته للتعرف على الخدمة.

ثم رأى أن المتأمل في سيرة د. فريد الأنصاري يمكن أن يلاحظ انجذابه إلى أربعة أمور، أولاً: الواقع، فقد كان منجذبًا إلى الواقع، فعاشه كما هو، ومن ثم استطاع اكتشاف الهوة في هذا الشأن، ثانيًا: النص الشرعي، فكان يعيش مع القرآن ويحيا بالقرآن، ثالثًا: الأنموذج، فقد وجد هذا الأنموذج الواقعي الذي انبهر به ألا وهو أنموذج الخدمة، رابعًا: التجديد، فكان لا يرضى بالواقع الذي نشأ فيه ويتطلع دائمًا إلى التجديد، وهذا الانجذاب إلى التجديد وجده في الخدمة واقعيًا لذلك كان انبهاره بالخدمة لأنها جسدت كل هذه الأمور الأربع.

أما الأكاديمي النيجيري الدكتور: إبراهيم أحمد مقري، أستاذ التعليم العالي في جامعة بايرو، بنيجيريا فقد أكد في مناقشته على الجانب الإنساني وأشار إلى رمزية الأستاذ الأنصاري باعتباره أنموذجًا في تحري الحق والبحث الدؤوب عن أسباب النهوض الحضاري نظريًّا وميدانيًّا.

وفي مداخلة الأستاذ صابر المشرفي رئيس تحرير نسمات للدراسات الاجتماعية والحضارية أشار إلى الجمع بين الشخصية الفكرية والأدبية في عنوان الندوة كان موفقًا جدًّا، فمثل هذه الشخصيات التي تجمع بين الفكر والأدب دائمًا ما تعرض الحق في ثوب الجمال، وتبحث عن الجمال في الحق، ومن ثم ينجحون في توصيل الحق دون أية آثار جانبية، وقد كانت شخصية الأستاذ الأنصاري من هذا النوع، ولعل عناوين مقالاته التي نشرها في حراء على مدار مسيرته معها تشير إلى هذين البعدين في آن معًا.

كما أوضح أن شخصية الأستاذ الأنصاري قد تجاوزت حدود الإقليم الجغرافي الذي نشأت فيه وأصبح لها حضور واسع وقوي في محيط العالمين العربي والإسلامي، وعزا السبب في ذلك إلى أن هذه الشخصيات التي تتوخى الإصلاح وتوقف حياتها على البحث عن مشاريعه بغية الإقلاع الحضاري للأمة لا تكون حكرًا على أبناء إقليمها بل تكون ملكًا للأمة كلها، كما كان الشأن مع العلمين المجددين التركيين العلامة النورسي والأستاذ فتح الله كولن.

الجدير بالذكر أن هذه الندوة شارك فيها علماء ومفكرون ومثقفون ومفتون وكتاب حراء الدائمون وطلاب ومتابعون من جنسيات مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وشهدت تفاعلاً كبيرًا من هذا الجمع الغفير، حيث عبروا عن امتنانهم وإشادتهم بالندوة موضوعًا وضيوفًا وتنظيمًا... غفر الله للأستاذ فريد الأنصاري، وأنزل على روحه الطاهرة سلامًا منا ورحمات من عنده، ونفعنا بعلمه وفهمه لكتاب الله وسنة رسوله، وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
نور الدين صواش

سكرتير التحرير
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني
نور الدين محمد

منسق الاشتراكات والتوزيع
علاء الكوابري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-79

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave.، Clifton، NJ، 07011، USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+2 01094338182

- من هو الأستاذ **فتح الله كولن؟**
- **ما "الخدمة"** وما رسالتها؟
- ما رؤية حركة **الخدمة في التغيير؟**

كل ذلك في الكتاب الجديد..

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002
www.souq.com
مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | **مكتبة فكرة ستي ستارز**

الحبل المتين

إن كان حبلك موهنًا
عجبًا فهل يجدي اعتصامكْ؟
عما قريب سوف تهوي
ليس في ضعف مُقامُك
تتناثر الأحلام كرهًا
فاستقم.. يُقبلْ سلامُك

***

ISSN 2357-0229
79
www.hiragate.com